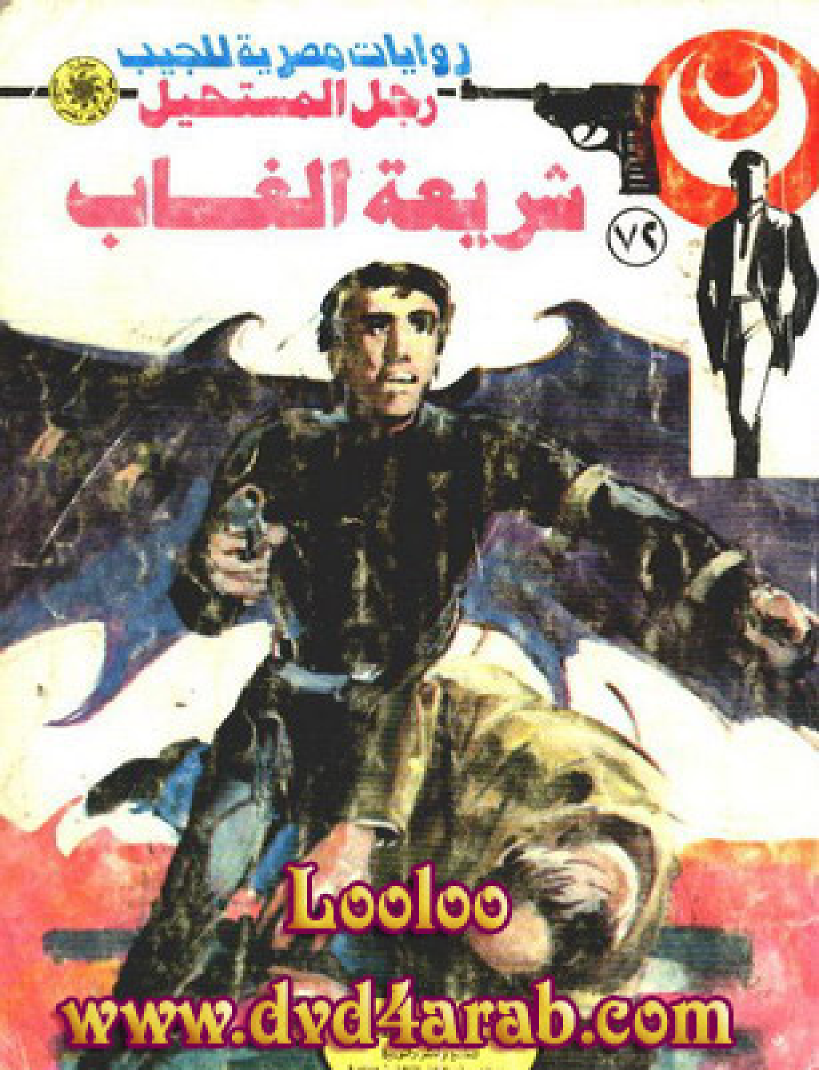


روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
شريعة الغاب
٧٩
Looloo
www.dvd4arab.com

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ عودة الشيطان ..

تفجّرت الدموع فى عينى (منى توفيق) ، وانهمرت غزيرة فى قلبها ، وعقلها يسترجع ذكريات قريبة ..

ذكريات يومين سابقين فحسب ..

منذ ألقت الشرطة المصرية القبض على الدكتور (أحمد) ، شقيق (أدهم صبرى) ، بتهمة محاولة تهريب المخدّرات إلى داخل (مصر) ، بعد أن وجدوا معه حقيبة مملوءة بالهيروين النقىّ ، عند وصوله من (السويد) ..

وثارت ثائرة (أدهم) ، فحصل على إجازة من عمله بالمخابرات العامّة ، وراح يقاتل فى إصرار وعناد ؛ لإثبات براءة شقيقه ، والإيقاع بالمجرمين الحقيقيين ، حتى تحوّل من ضابط مخابرات إلى رجل يعمل ضدّ القانون ..

وتعرّض (أدهم) لمحاولات قتل ، من جانب شبكة المخدّرات ، التى يتزعّمها رجل مجهول ، يُطلق عليه الجميع اسم (الإمبراطور) ، وانتقل القتال من نقطة إلى أخرى ، فى

سرعة وقوة وعنف ، حتى وقع (أدهم) بدوره فى قبضة الشرطة المصرية ..

ثم انقلبت الأمور فجأة ..

قرر وزير الداخلية المصرى الإفادة من مهارات (أدهم صبرى) وقدراته ، فانتدبه للعمل فى مباحث أمن الدولة ، وأسند إليه مهمة الإيقاع بشبكة المخدرات ، التى أثبتت التحريات أنها شبكة جاسوسية فريدة ، تسعى لتحطيم الجبهة الداخلية للبلاد ، عن طريق نشر تلك السموم البيضاء القاتلة ، وترويجها ..

ثم انكشفت فجأة شخصية الإمبراطور ، وتبين أنه مدير مكتب (مراد غالب) ، صاحب مجموعة الشركات الضخمة ، والذى كان المشتبه فيه رقم واحد فى البداية ، وسقط (أدهم) و (منى) و (قدرى) فى قبضة الإمبراطور ورجاله ، مما أفقدهم الوعى ، ونقلهم إلى استراحة خاصة ، فى طريق (القاهرة ـ الإسكندرية) الصحراوى ، وهناك تفجرت مفاجأة مذهلة ..

إن ذلك الإمبراطور ، الذى يحمل اسم (خالد رشوان) ، لم يكن سوى أحد ضباط (الموساد) ، ويدعى

(إيلى كوهين) ، ويدير شبكتى المخدرات والجاسوسية فى مهارة وذكاء الثعالب ، وشراسة ووحشية الذئاب ..

وكشف (إيلى كوهين) بنفسه تلك المفاجأة المذهلة ، أمام (أدهم) و (قدرى) و (منى) ، فى تبجح وزهو ، ثم صوب إلى رأس (أدهم) مسدس هذا الأخير ، المزود بكاتم للصوت ..

وأطلق النار ..

ورأى (قدرى) و (منى) الدماء تتفجر فى جبهة (أدهم) ، قبل أن يسقط رأسه فوق صدره ، وتهمد حركته تمامًا ..

وصرخ (إيلى كوهين) فى مرح جنونى :

ـ لقد فعلتها .. لقد قتلت (أدهم صبرى) ، فليسجل التاريخ اسم (إيلى كوهين) ، الرجل الذى قتل الشيطان المصرى ..

وانهار (قدرى) و (منى) ، أمام ذلك المشهد المؤلم الرهيب(*) ..

وارتج المكان بضحكات (إيلى) الظافرة المزهوة ، وهو

(*) راجع الجزء الأول (ضد القانون) .. المغامرة رقم (٧١) .

ينقل بصره بين (منى) و (قدرى) فى شماتة ، قبل أن يناول المسدس لأقرب رجاله ، قائلاً فى انفعال :

ــ انتظر حتى أبتعد ، ثم اقتلهما ، ليلحقا بصديقهما الأسطورة فى جنة الأغبياء .

ثم عدّل سترته ، ورباط عنقه ، واتجه نحو باب المخزن فى هدوء ، فاستوقفه (قدرى) ، هاتفًا فى غضب ومرارة :

ــ لن تفلت أبدًا .

ابتسم (إيلى) فى سخرية ، وقال :

ــ هكذا ؟!.. لا تقلق بشأنى أيها البدين .. حاول أنت أن تستمتع بلحظاتك الباقية فى هذا العالم .

وأطلق ضحكة ساخرة ، وهو يغلق باب المخزن خلفه ، ولم تمض لحظات حتى سمع الجميع صوت سيّارته تنطلق عائدة إلى (القاهرة) ، وهنا فقط انهمرت دموع (منى) فى غزارة ، وهى تشيح بوجهها بعيدًا ، حتى لا تتطلع إلى جسد (أدهم) ، والدماء التى تسيل من جبهته على وجهه ، وسمعت أحد رجال (إيلى) يقول فى حزم :

ــ أظن أنه ينبغى أن نقتلهما الآن .

ألقى أحدهم نظرة خبيثة على (منى) ، وهو يقول :

ــ أطلق النار على البدين أوّلاً ، ودَع الفتاة بعض الوقت .

ارتجف جسد (منى) ، حينما أدركت ما تعنيه كلماته ، على حين ابتسم الرجال فى خبث وتهكّم ، وصاح (قدرى) فى غضب :

ــ أيها الأوغاد .. أيها الحقراء .

التفت إليه الرجل ، الذى يحمل المسدس ، فى برود ، وصوّب فوّهة المسدس إلى رأسه ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ــ لا تنفعل هكذا أيها البدين .. إنك لن تبقى لتشاهد ما سنفعله بها .

شحُب وجه (قدرى) المكتظ ، وهو يهتف فى انفعال :

ــ أيها الملاعين .. يا حُثالة البشر .

غمغم أحد الرجال فى ضجر :

ــ هيّا يا (وفيق) .. أخرس هذا البوق الضخم ، فلقد سئمت صياحه .

ابتسم (وفيق) ، وهو يقول :

ــ بكل سرور .

ثم أطلق رصاصة المسدس على جبهة (قدرى) تمامًا ..

وصرخت (منى) فى رُعب ومرارة وارتياع ، حينما رأت الدماء تتفجّر فى جبهة (قدرى) ، وأيقنت من أنها قد أصبحت وحيدة ..

وحيدة وسط ذئاب البشر ..

* * *

انتفضت كل خليّة من خلايا جسد (قدرى) البدين فى قوّة ، حينما ارتطمت الرصاصة بجبهته ، وشعر بالدماء تتفجّر فى موضع الرّصاصة ، وتسيل على وجهه ، إلا أن الشعور الوحيد الذى انتابه ، فى تلك اللحظة ، هو الذّهول ..

الذّهول ؛ لأن الرصاصة لم تصبه بالألم ، كما كان يتوقّع ، ولأنه لم يَمُتْ ..

وانتقل ذُهوله إلى رجال (إيلى) ، وإلى (منى) ، حينما رأوه يحدّق بهم فى دهشة ، دون أن يسقط جثة هامدة ، كما كانوا يتوقّعون ..

وفجأة ، ارتجفت أجساد الجميع ، حينما ارتفع صوت ساخر يقول :

ـــ مفاجأة .. أليس كذلك ؟..

تجمّدت الدماء فى عروق (قدرى) و (منى) ،

وارتجفت فى عروق رجال (إيلى) ، حينما رأى الجميع (أدهم صبرى) يندفع من مكانه ، وقد تخلّص من قيوده ، والدماء ما زالت تملأ جبهته ، وتسيل على وجهه ، وكأنه شبح عاد لينتقم ..

وقبل أن ينفض أحد الحاضرين ذُهوله ، كانت قبضتا (أدهم) وقدماه تحطّم الأنوف والفُكُوك ، وتنهال على الرءوس والأجساد ، فى سرعة وقوّة ومُرونة مُذهلة ..

وفجأة ، ساد الصمت ..

ساد بعد أن سقط كل رجال (إيلى كوهين) فاقدى الوَعْى ، والدماء تسيل من أنوفهم المحطّمة ، وتختلط بأسنانهم المهشّمة ..

ولم تفه (منى) بحرف واحد ، وهى تحدّق فى (أدهم) فى ذُهول ، وهو يقترب منها مبتسمًا ، ويقول :

ـــ هل تصوّرت أننى سأتخلّى عنك يا عزيزتى ؟

تجمّدت الدماء فى حلقها ، وهى تلتهمه بنظراتها فى لهفة وذُهول ، على حين راح هو يحلّ قيودها فى هدوء ، وهتف (قدرى) :

ـــ ولكن كيف ؟!..



تجمّدت الدماء فى حلقها ، وهى تلتهمه بنظراتها فى لهفة وذهول .. على حين راح هو يحلّ قيودها فى هدوء .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

ــ إن مسدّسى لم يكن يحوى رصاصات حقيقية يا (قدرى) ، وإنما نوع من الرصاصات المستخدمة فى عالم السينما ، والتى تنفجّر عند ارتطامها بالجسم ، وتقذف سائلاً صناعيًا ، يشبه الدم فى لونه ولزوجته ، ولقد كنت أحشو مسدّسى بها ؛ لأستخدمها فى إرهاب هؤلاء الأوغاد فحسب خشية أن أفقد السيطرة على أعصابى ، فأقتل أحدهم فى ثورة غضب .

هنا فقط غمغمت (منى) :

ــ يا إلهى !!

ثم انفجرت باكية ، بين ذراعىْ (أدهم) ، بعد أن حرّرها من قيودها ، فربّت على ظهرها فى حنان ، وهو يغمغم :

ــ كنت أتصوّر أنك ستدركين ذلك يا عزيزتى ، فلقد رأيتنى أستخدم نفس الرصاصات الزائفة ، لأجبر أحد هؤلاء الأوغاد على الاعتراف ، فى مسكنى(*) .

أجهشت بالبكاء ، وهى تهتف :

ــ لقد نسيت .. لقد أصابنى الرُّعب ، حينما رأيت ذلك الحقير يطلق النار عليك ، حتى أننى نسيت ذلك تمامًا .

(*) راجع الجزء الأوّل (ضد القانون) .. المغامرة رقم (٧١) .

عاد يربت على ظهرها فى حنان ، وهو يقول :

ــ لا عليك يا عزيزتى .. من حسن الحظ أن ذلك الوغد قد استخدم مسدسى ، وليس مسدسه هو .

سالت الدموع من عينى (قدرى) ، أمام ذلك المشهد العاطفىّ ، ثم لم يلبث أن غمغم فى صوت متحشرج :

ــ ألن تحلّ قيودى ؟

التفت إليه (أدهم) ، وهو يبتسم قائلاً فى مرح :

ــ بالتأكيد يا صديقى البدين .. أراهن أن الانفعال قد أصابك بحالة من الجوع الشديد .

ابتسم (قدرى) ، وهو يغمغم :

ــ أنت على حق .

جفّفت (منى) دموعها ، وهى تهتف :

ــ سأعدّ لك وجبة رائعة ، احتفالاً بنجاتنا ونجاة (أدهم) ، و .....

قاطعها (أدهم) فى حزم :

ــ ليس الآن يا (منى) .. إننا نحتاج إلى تحرّك بالغ السرعة هذه المرّة .

سألته فى اهتمام :

ــ هل سنلقى القبض على (إيلى) ؟

ابتسم فى غموض ، وهو يقول :

ــ ليس بعد .. إن الاعترافات التى أدلى بها هذا الوغد أمامنا ، تكفى لإثبات إدانته ، والإيقاع به ، ولكننى أهدف إلى نصر أعظم .

واختلط غموض ابتسامته بالسخرية ، وهو يُرْدِف :

ــ أهدف إلى توجيه ضربة قاسية لـ (الموساد) .

هتف به (قدرى) و (منى) ، فى آن واحد :

ــ كيف ؟.

أجابهما فى هدوء :

ــ سنحلّ قيود صديقنا (قدرى) أوّلاً ، ثم أخبركما كيف ..

وكان من الواضح أنه ينوى خوض جَوْلة جديدة .. جَوْلة حاسمة ..

* * *

٢ ــ البرقيَّة ..

قطعت تلك البرقية الشَّفْرِيَّة ، التى أرسلها (إيلى كوهين) إلى رؤسائه ، رحلة طويلة للغاية ، على الرغم من أن تلك الرِّحلة لم تستغرق أكثر من نصف الساعة ، بفضل وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة ، فى عصرنا هذا ..

فلقد أرسل (إيلى) البرقية من مكتبه ، فى شركة (مراد غالب) ، إلى فرع الشركة فى (باريس) ، حيث استقبلها أحد عملاء (الموساد) ، وأبرق بها إلى شركة صغيرة لصيد الأسماك فى (أثينا) ، فأرسلتها تلك الشركة الصغيرة إلى فرعها فى (تل أبيب) ، ومنه حملها مندوب خاصّ ، على وجه السرعة ، إلى بِناية قديمة فى شارع (بن جوريون) ، يحيط بمدخلها متجران صغيران متهالكان ، لبيع موادّ البقالة ..

ولم يكد ذلك المندوب الخاصّ يصعد إلى الطابق الثالث من البِناية ، حتى استقبله رجل نحيل متجهِّم ، التقط منه البرقيّة ، ودلف بها إلى حجرة جانبية ، ثم لم يلبث أن اندفع منها

فى خفة وانفعال ، وركض عَبْرَ الممرّ الطويل ، إلى حجرة فى نهايته ، دقَّ بابها فى حماس ، ثم دفع بابها ، واندفع داخلها ، وهو يهتف :

ــ لقد أرسل (إيلى) برقيّة بالغة الخطورة يا سيِّدى .

لم يكن ذلك المبنى سوى الإدارة الرئيسية لـ (الموساد) ، أمّا الجالس داخل تلك الحجرة الأخيرة ، فكان مدير (الموساد) شخصيًّا ، ولقد رفع هذا الأخير رأسه فى حركة حادّة ، تشفُّ عن الاهتمام البالغ ، وهو يسأل الرجل :

ــ وما وجه خطورتها بالضبط ؟

ناوله الرجل البرقيّة ، بعد أن حلَّ قسم الشفرة كلماتها ، وقال :

ــ اقرأها بنفسك يا سيِّدى .

تناول منه مدير (الموساد) البرقيّة ، واتسعت عيناه ، وهو يقرأ كلماتها ، مغمغمًا :

ــ من (إيلى كوهين) إلى الإدارة العامّة .. حدث تطوُّر مفاجئ فى العملية ، وتدخل رجل المخابرات المصرى الشيطان ، المعروف باسم (أدهم صبرى) .. ولقد تمّ إقصاؤه من الطريق ، وقتله .. فى انتظار أوامر أخرى .

راح مدير (الموساد) يقرأ البرقية مرة تلو الأخرى ، فى دهشة بالغة ، ثم تهللت أساريره ، وهو يهتف :

ــ قتل (أدهم صبرى) ؟!.. إنها برقية بالغة الخطورة بالفعل .

تردد الرجل الواقف أمامه لحظات ، قبل أن يغمغم :

ــ سيدى .. لقد تلقينا عشرات البرقيات المشابهة من قبل ، وكل منها تبشرنا بالقضاء على ذلك الشيطان المصرى ، ولكن إحداها لم تكن صحيحة أبدا ، وأخشى أن .....

قاطعه مدير (الموساد) فى انفعال :

ــ ولكن (إيلى) أرسل هذه البرقية من (مصر) ، ومن المستحيل أن يرسلها من موطن ذلك الشيطان ، ما لم يكن واثقا من كل حرف فيها .

غمغم الرجل فى قلق :

ــ أو يكون قد أجبر على إرسالها يا سيدى .

عقد مدير (الموساد) حاجبيه فى قلق واضح ، وهو يقول :

ــ أتعنى أنه قد وقع ؟

أومأ الرجل برأسه إيجابا فى بطء ، فازداد انعقاد حاجبى

مدير (الموساد) ، وتراجع فى مقعده ، وراح يحك ذقنه بسبابته فى قلق ، وهو يدرس هذا الاحتمال المفاجئ ، ثم لم يلبث أن اعتدل ، وهو يقول فى حزم :

ــ هناك وسيلة للتأكد من ذلك .

ثم أردف ، وهو ينهض فى صرامة :

ــ أرسل برقية عاجلة إلى (إيلى) ، واطلب منه الحضور إلى هنا بنفسه ، مع ما يثبت قتله لـ (أدهم صبرى) .

وعاد يعقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى توتر :

ــ لو أنهم أوقعوا به ، وكشفوا شخصيته ، فمن المستحيل أن يسمحوا له بمغادرة (القاهرة) ، والعودة إلينا .. أليس كذلك ؟

ابتسم الرجل فى ثقة ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح يا سيدى .. إنها الطريقة المثلى للتأكد من مصرع ذلك الشيطان المصرى ، (أدهم صبرى) .

* * *

ارتسم مزيج من الدهشة والغضب على وجه (إيلى كوهين) ، عندما استجاب لرنين باب شقته فى السابعة صباحا ، وفوجئ بـ (توفيق شاهين) أمامه ، بوجهه المغطى

بالضمادات ، بعد قتاله السابق مع (أدهم صبرى) ، فهتف به فى حَنَق :

ـــ ما الذى أتى بك إلى هنا أيها الغبىّ ؟

دلف (توفيق) إلى مسكنه فى سرعة ، وأغلق الباب خلفه ، وهو يقول فى انفعال :

ـــ كان لابدّ لى من أن ألتقى بك ، ولقد منعتنى من الذهاب إلى مكتبك فى الشركة .

صاح (إيلى) فى حِدّة :

ـــ قدومك إلى هنا أيضًا بالغ الخطورة ، فلا ينبغى أبدًا أن يعلم أىّ مخلوق بعلاقتنا ، أو اتصالاتنا .

هتف (توفيق) فى توتُّر :

ـــ وماذا عن ذلك الرجل (أدهم صبرى) ؟.. لقد هاجمنى فى متجرى ، وحطّم وجهى كما ترى ، ولكننى حافظت على سِرّك ، ولم أخبره أنك إمبراطور شبكة المخدرات .

جذبه (إيلى) من سترته فى عنف ، وهو يهتف به فى غضب :

ـــ أيها الغبىّ .. إيّاك أن تذكر ذلك مرّة أخرى ، وإلا قطعت لسانك من منبته .

تخلّص (توفيق) من قبضته ، وتراجع فى حِدّة ، وهو يهتف :

ـــ ولِمَ لا ؟.. ألست الإمبراطور الحقيقى للشبكة ؟.. ألست تحظى بكل الحماية والسرّيّة وحدك ؟

هتف به (إيلى) فى غضب :

ـــ بلى .. ولكن هذا لمصلحة الجميع .

صاح (توفيق) فى حِدّة :

ـــ كيف ؟!.. لقد كشف (أدهم صبرى) هذا سِرّنا ، ويمكنه أن يُوقع بى ، على حين تبقى أنت خارج نطاق الشُّبهات .

أشعل (إيلى) سيجارته فى عصبيّة ، وهو يقول :

ـــ دَعْك من (أدهم صبرى) هذا .. لقد انتهى أمره .

حدّق (توفيق) فى وجهه بدهشة ، وهو يغمغم فى انفعال :

ـــ هل .. هل تخلّصت منه ؟

أجابه (إيلى) فى صرامة :

ـــ نعم .. لقد قتلته بنفسى أمس .

غمغم (توفيق) فى ذُهُول :

ـــ قتلته ؟!

وعلى الرغم من توتره ، ارتسمت على شفتى (إيلى) ابتسامة مَزْهُوَّة ، وهو يقول :

ــ نعم .. أنا فعلت ما عجز عنه الآخرون .

تنفّس (توفيق) الصُّعَداء ، وألقى جسده فوق أقرب المقاعد إليه ، وهو يهتف فى ارتياح :

ــ حسنًا .. هذا يبدّل الأمور كثيرًا .

نفث (إيلى) دُخان سيجارته فى عصبيّة ، وهو يسأله :

ــ قُل لى الآن ، لماذا خاطرت بالقُدوم إلى منزلى ؟

اعتدل (توفيق) فوق مقعده ، وهو يقول فى صرامة مفاجئة :

ــ لقد أتيت ؛ لأننى توصّلت إلى معلومة جديدة بالغة الخطورة .

سأله (إيلى) فى توتّر :

ــ أيّة معلومة ؟

رمقه (توفيق) بنظرة طويلة صامتة صارمة ، قبل أن يقول فى بطء :

ــ إنك لست (خالد رشوان) .

انتفض جسد (إيلى) فى قوّة ، وشحُب وجهه ، وازدادت لهجته عصبيّة ، وهو يقول :

ــ أىّ هُرَاء هذا ؟

أجابه (توفيق) فى صرامة :

ــ نعم .. إنك لست (خالد رشوان) الحقيقى .. إننى أتحرّى حقيقة أمرك منذ فترة طويلة ، ولقد أدهشنى أنه لم تكن هناك بادرة واحدة ، فى حياة (خالد رشوان) ، تجعل من الممكن أن يتحوّل هكذا فجأة ، إلى زعيم أكبر شبكة مخدّرات فى (مصر) كلها .

حدجه (إيلى) بنظرة عصبيّة ، وهو يقول :

ــ وماذا بعْد ؟

هزّ (توفيق) كتفيه ، وهو يقول :

ــ تذكّرت تلك المعلومات ، التى كنت تطالبنا بجمعها ، وتلك الشخصيات الهامّة ، التى كنت تحثنا على دفعها إلى الإدمان ، حتى ولو منحناها المخدّر دون مقابل ، وقادتنى كل تلك الملحوظات إلى حقيقة هامّة ، وهى أنك .....

انعقد حاجباه ، وبدت لهجته بطيئة عميقة ، وهو يتابع :

ــ جاسوس .

مرّة أخرى انتفض جسد (إيلى) فى قوّة ، وحدّق فى وجه (توفيق) فى عصبيّة بالغة ، قبل أن يغمغم فى سَخَط شديد :

ــ يبدو أنك أذكى مما كنت أتوقّع يا (توفيق) .

أجابه (توفيق) فى صرامة :

ــ صحيح أننى لم أتلق التعليم الكافى يا سيّد (خالد) ، أو يا من كنت ، ولكننى لست غبيًا .

هتف (إيلى) فى غضب :

ــ بل أنت كذلك .

وفجأة ، التقط من جيب سترته مسدسًا ، صوّبه إلى رأس (توفيق) ، الذى ابتسم قائلاً فى هدوء :

ــ بل لست كذلك أيها الإمبراطور ، فزوجتى تنتظرنى الآن فى مكان ما ، ومعها خطاب يحوى كل ما جمعته عنك من معلومات ، ولقد أمرتها بتسليمه فورًا إلى المخابرات العامة ، لو لم أعد إليها سالمًا .

عقد (إيلى) حاجبيه ، وخفض فوّهة مسدسه ، وهو يغمغم فى عصبيّة وتوتّر :

ــ يبدو أنك أذكى مما كنت أتوقّع بالفعل يا (توفيق) .. ماذا تريد بالضبط ؟

تألقت عينا (توفيق) ، وهو يقول فى لهفة :

ــ من يتعاملون بالجاسوسية ، يتلقّون أجورًا باهظة .. أليس كذلك ؟

حدّق (إيلى) فى وجهه بدهشة ، وهو يغمغم :

ــ أجور ؟!

ثم انفجر فجأة ضاحكًا على نحو هستيرى ، وهو يهتف :

ــ أهذا هو كل ما تسعى إليه ؟.. المال ؟

هتف (توفيق) فى جشع واضح :

ــ بالطبع .. أليس هذا هو ما نسعى إليه كلنا ؟

أطلق (إيلى) ضحكة عالية أخرى ، واتجه نحو (توفيق) ، وربّت على كتفه فى قوّة ، وهو يهتف :

ــ لا بأس يا (توفيق) .. سنلعب بأوراق مكشوفة ، وستحصل على ما تسعىٰ إليه ، بعد عودتى .

عقد (توفيق) حاجبيه ، وهو يغمغم فى شك :

ــ عودتك ؟!.. إلى أين ستذهب ؟

استعاد (إيلى) لهجته الصارمة ، وهو يقول :

ــ اسمع يا (توفيق) ، ما دمنا سنلعب بأوراق مكشوفة ، وما دمت لا تعترض على العمل بالجاسوسية ، مقابل أجر باهظ ، فلتعلم أن أوّل دروس اللعبة هو ألا تكثر من الأسئلة ، وأن تطيع الأوامر فقط .

غمغم (توفيق) فى طاعة :

ــ نعم يا سيّدى .. سأفعل .

ابتسم (إيلى) فى ظفر ، وأخرج من جيب سترته برقيّة ، أشعل فيها النيران بقدّاحته ، وهو يقول فى حزم :

— لقد استدعونى فى القيادة يا (توفيق) ، وحينما أعود ، سأكون بالتأكيد أكثر قوّة ونفوذًا .. وسينعكس هذا عليك .. إننى رجل ظافر يا (توفيق) .

وانطلقت من أعماقه ضحكة ظافرة عالية ، وهو يداعب رماد البرقية المحترقة ، ويستعد للذهاب إلى (تل أبيب) مباشرة ..

* * *



ابتسم (إيلى) فى ظفر ، وأخرج من جيب سترته برقيّة ، أشعل فيها النيران بقدّاحته .

٣ ـ الرِّحْلة ..

عقد وزير الداخلية حاجبيه فى شدة ، وهو يستمع إلى (أدهم صبرى) فى انتباه ، ثم قال فى حزم :

ـ ولكن لماذا نسمح له بالسفر ، ومغادرة البلاد أيها المقدّم ، ما دمنا نملك ما يكفل لنا إدانته ، وإلقاء القبض عليه ؟

أجابه (أدهم) فى اهتمام :

ـ لأننا بذلك نربح أكثر يا سيّدى .

هتف وزير الداخلية فى صرامة :

ـ ماذا نربح ؟.. إننا سنربح فقط لو أوقعنا به ، وهذا الربح مضمون ، ما دام داخل البلاد ، ولكن لو أننا سمحنا له بالخروج ، فقد لا يعود إلينا أبدًا .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول فى ثقة :

ـ بل سيعود يا سيّدى .. بإذن الله .

صمت وزير الداخلية ، وهو يتفرّس فى ملامح (أدهم) فى استنكار ، ثم مال نحوه ، قائلاً فى جدّة :

ـ اسمع أيها المقدّم .. لقد وافقت على انتدابك فى مباحث أمن الدولة ، نظرًا لتاريخك المشرّف فى عالم محاربة الجريمة ، ولكن هذا التاريخ نفسه يؤكد أنك عنيد ، صعب المِراس ، تُصِرُّ دَوْمًا على تحقيق انتصاراتك على نحو مسرحىّ معقّد ، ولو أنك سألتنى رأيى فى ذلك ، فلتعلم أننى أراك مصابًا بعقدة العَظَمَة ، وبهستيريا التفوّق ، ولن أخاطر بفشل عملية مضمونة النجاح ، لمجرّد إشباع تلك الميول الاستعراضية فى أعماقك .

بدا الضيق على وجه (أدهم) ، وهو يقول :

ـ صدّقنى يا سيّدى .. لست أسعى إلى شىء من ذلك على الإطلاق ، بل أهدف إلى تحقيق نصر كامل ، وطبقًا لخطّة محدودة .

قرأ (أدهم) فى عينى وزير الداخلية علامات الشك ، فأردف فى تأكيد :

ـ نعم يا سيّدى الوزير .. لقد توقّفت مع نفسى طويلاً ، بعد ما حدث ليلة أمس ، وراجعت كل تصرّفاتى فى الآونة الأخيرة ، واعترفت ـ والاعتراف بالحق فضيلة ـ أننى كنت أتصرّف على نحو غير لائق ، لفترة طويلة ، وأننى كنت

مكابرًا ، عنيدًا طوال الوقت ، ولقد أشعرنى هذا باستياء شديد ، فالفوضى تبدأ حينما يتحدّى حماة القانون قانونهم ، الذى يقاتلون للحفاظ عليه .

غمغم وزير الداخلية فى دهشة :

ـــ أنت تقول ذلك ؟

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ نعم ياسيّدى .. أنا أقول ذلك ، فالإصرار على الخطإ أبشع من الخطإ نفسه .

شبّك وزير الداخلية أصابع كفّيه أمام وجهه ، وهو يغمغم :

ـــ عجبًا !!..

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، وقال :

ـــ إننى ضابط مخابرات محترف ياسيّدى ، ولقد عوّدتنى مهنتى أن أقاتل دوْمًا ، سعيًا وراء نصر كامل ، وخلف توجيه ضربات مُحْكَمَة للخصم ، تُزعزع ثقته بنفسه ، وتُلقى به فى دوّامة من المرارة والحَيْرة ، وهذا ما أسعى إليه بخُطّتى ، التى حدثتك عنها منذ لحظات .

ازداد انعقاد حاجبى وزير الداخلية ، وهو يفكّر فى عمق ، ثم تنهّد ، مغمغمًا :

ـــ إنها مخاطرة شديدة أيها المقدّم ، ولكن .....

طال صمته وتفكيره بعض الوقت ، قبل أن يعتدل ، مردفًا فى حزم :

ـــ لا بأس .. إننى أوافق على خُطّتك ، بالتنسيق مع إدارة المخابرات .

وتضاعف الحزم فى نبراته ، وهو يستطرد :

ـــ نفّذ خُطّتك أيها المقدّم (أدهم صبرى) .. على بركة الله .

* * *

اقتضت إجراءات الأمن ، المتّبعة فى عالم المخابرات ، أن تطول رحلة (إيلى كوهين) كثيرًا ، من (القاهرة) إلى (تلّ أبيب) ، فقد استقلّ أوّلًا الطائرة من (القاهرة) إلى (باريس) ، حيث أبدل جواز سفره المصرىّ ، الذى يحمل اسم (خالد رشوان) ، بجواز سفر لبنانى ، يحمل اسم (كميل حوران) ، وصورته هو ، واستخدم ذلك الجواز للسفر إلى (أثينا) ، وهناك توجّه إلى السفارة التابعة لدولته ، وحصل منها على جواز سفر ديلوماسىّ ، يحمل اسمه الحقيقىّ (إيلى كوهين) ، وتأشيرة خاصّة ، تتيح له إنهاء كل

الإجراءات فى سرعة ، وتضمن عدم التعرُّض له ، مهما كانت الأسباب ، ثم توجّه نحو فندق من فنادق الدرجة الأولى ، ذات الخمسة نجوم ، واستأجر جناحًا كاملًا ليقضى فيه ليلته ، قبل أن يستقلّ الطائرة المتجهة إلى (تل أبيب) فى الصباح التالى ..

وفى الثامنة والنصف صباحًا ، بتوقيت (أثينا) ، كانت الطائرة تحلّق نحو (تل أبيب) ، وعلى مقعد الدرجة الأولى ، الذى يحمل الرقم (تسعة) ، كان يجلس (إيلى كوهين) ..

وفى الحادية عشرة تمامًا ، هبطت الطائرة فى مطار (تل أبيب) ، وغادر (إيلى) المطار فى خطوات ثابتة هادئة ، حيث استقبله رجلان بابتسامة واسعة ، وهتف أحدهم ، وهو يفتح له باب سيارة بيضاء أنيقة :

ـــ مرحبًا بعودتك يا سيّد (إيلى) .. إن الإدارة كلها تنتظر قدومك بفارغ الصبر .

ارتسمت ابتسامة ظافرة مزهوّة على شفتى (إيلى) ، وهو يدلف إلى المقعد الخلفىّ للسيّارة ، قائلًا فى غطرسة :

ـــ هذا طبيعىّ .. لقد حقّقت ما كانوا يحلمون به منذ زمن .

دلف الرجلان إلى المقعدين الأماميّين للسيّارة ، وانطلق سائقها بها ، وهو يسأله فى شغف :

ـــ هل قضيت حقًا على (أدهم صبرى) ؟

اتسعت ابتسامة (إيلى) المزهوّة ، وهو يقول :

ـــ ألديك شكٌّ فى هذا ؟..

ابتسم الرجل فى فرح ، وهو يقول :

ـــ كلّا يا سيّد (إيلى) .. الجميع هنا يعترفون بتفوّقك .

لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، بعد هذا الحوار القصير ، والسيّارة تقطع بهم شوارع (تل أبيب) ، حتى شارع (بن جوريون) ، حيث توقّفت أمام ذلك المبنى العتيق ، وغادرها (إيلى) ، وهو يحمل نفس ابتسامته المزهوّة ، وعبر بوّابة مبنى (الموساد) فى خطوات واسعة مختالة ، واستقبله رجال (الموساد) بالعناق والترحاب ، وصافحوه فى حرارة ، وهم يهنّئونه بالقضاء على أشرس خصومهم فى المخابرات المصرية ، وتلقّى هو تهنئتهم فى برود وغطرسة ، وهو يلوّح بكفّه قائلًا :

ـــ الأمر لا يستحق كل هذا .. لم تكن النتائج لتتغيّر كثيرًا ، لو أننى التقيت بذلك الشيطان المصرىّ منذ البداية .

أصابهم بروده وغطرسته بالدهشة والإحباط ، وهمس أحدهم فى أذن زميله :

ـــ أيبدو لك (إيلى) طبيعيًا ؟

سأله زميله في دهشة :

ــ ماذا تعني ؟

أجابه في شك :

ــ إنه يبدو لي مختلفًا .

اختلس زميله النظر إلى (إيلي) في حسد ، وهو يغمغم :

ــ هذا طبيعيّ .. إنها نشوة الظفر .

مطّ الأوّل شفتيه ، وهو يغمغم :

ــ ربّما .. ولكنه يبدو لي مختلفًا على نحو كبير .

لم يكن هذا رأي مدير (الموساد) ، الذي استقبل (إيلي) في مكتبه بالترحاب ، وبابتسامة واسعة ، وصافحه في حرارة بالغة ، وهو يقول :

ــ مرحبًا يا عزيزي (إيلي) .. إن عودتك إلينا هي خير دليل ، على نجاحك في القضاء على ذلك الشيطان المصريّ .

ابتسم (إيلي) ، وهو يقول :

ــ لقد كان القضاء عليه أكثر سهولة من سحق حشرة بحذاء ثقيل يا سيّدي .

اتّسعت ابتسامة مدير (الموساد) ، وهو يقول ضاحكًا :

ــ لا داعيَ للمُبالغة يا عزيزي (إيلي) ، فهذا يقلّل من حجم انتصارك العظيم .

وأشار إليه بالجلوس ، وهو يجلس خلف مكتبه ، ويسأله في لهفة واهتمام :

ــ إنك تملك الدليل على مصرع ذلك الشيطان المصريّ .. أليس كذلك ؟

أجابه (إيلي) في زهو :

ــ بلى .. بالتأكيد يا سيّدي .

ثم التقط من جيبه صُورة فوتوغرافية ملوّنة ، قدّمها إلى مدير (الموساد) ، الذي اختطفها من يده في لهفة ، وخفق قلبه في انفعال ، وهو يتطلّع إليها ، وإلى وجه (أدهم) الواضح فيها ، والدماء تسيل من جبهته إلى وجهه ، وهتف :

ــ هل أطلقت عليه النار ؟

أجابه (إيلي) ، وهو يلوّح بكفّه في فخر :

ــ على جبهته مباشرة .

أغلق مدير المخابرات عينيه ، وكأنما يحاول السيطرة على انفعاله الشديد ، وصمت طويلًا وهو يتشبّث بحافّة مكتبه في قوّة ، ثم لم يلبث جسده أن استرخى ، وعادت الابتسامة إلى ثغره ، وهو يفتح عينيه ، قائلًا :

ــ إنها مناسبة تستحق الاحتفال يا (إيلي) .

ثم نهض من خلف مكتبه ، وفتح خزانة صغيرة ، التقط منها زجاجة من الخمر الفاخر ، وكأسين من البلّور ، ووضع إحداهما أمام (إيلى) ، وصبّ فيها بعض الخمر ، ثم صبّ البعض الآخر فى كأسه ، ورفعها أمامه ، هاتفًا فى مرح :

ـــ نخبَ القضاء على أشرس خصوم (الموساد) عَبْرَ التاريخ .

التقط (إيلى) كأسه فى تراخ ، ومسَّ بها شفتيه ، ثم أعادها ، وهو يقول :

ـــ إن القضاء على (أدهم صبرى) لم يتم دون خسائر يا سيِّدى .

عقد مدير (الموساد) حاجبيه ، وهو يسأله فى قلق :

ـــ أيّة خسائر ؟

أجابه (إيلى) فى ضيق :

ـــ لقد أتلف القائمة ، التى تحوى أسماء كل رجال شبكة المخدِّرات فى (مصر) .

ابتسم مدير (الموساد) ، وهو يقول :

ـــ إنها خسائر طفيفة يا (إيلى) .. إننا نمتلك نسخة كاملة من تلك القائمة ، ويمكنك أن تحصل على مثلها فورًا ..

ثم ضغط زرّ جهاز الاتصال الداخلىّ ، وقال فى حزم :

ـــ (زايون) .. أحضِرْ لى نسخة كاملة من شبكة (القاهرة) .

لم تمضِ لحظات حتى أحضر (زايون) النسخة المطلوبة ، فتناولها (إيلى) ، وطواها ، ودسَّها فى جيبه ، على نحو يُوحِى باللامبالاة ، وهو يقول :

ـــ نقطة أخرى يا سيِّدى .. لقد كشف (توفيق شاهين) حقيقة شخصيتى .

اتسعت عينا مدير (الموساد) فى ذُعْر ، وهو يهتف :

ـــ كيف ؟. إنه أمر بالغ الخطورة يا (إيلى) .

هزَّ (إيلى) كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ ليس إلى هذا الحد يا سيِّدى ، إنه سيعمل لحسابنا .

عقد مدير (الموساد) حاجبيه فى توتُّر ، وهو يقول :

ـــ هذا لا ينفى خطورة الأمر يا (إيلى) ، فالخطر ـــ كل الخطر ـــ أن تتحوَّل إلى مجال الجاسوسيَّة الصريحة ، فهذا يزيد من حجم المخاطرة .

مطَّ (إيلى) شفتيه ، وهو يقول :

ـــ لسنا نملك سوى ذلك يا سيِّدى ، فلقد احتاط ذلك

الوغد تمامًا ، بحيث بات التخلُّص منه يكفى لكشف الشبكة كلها .

جلس مدير (الموساد) خلف مكتبه ، وراح يفكِّر فى عمق ، قبل أن يغمغم فى قلق :

ـ هناك وسيلة للتخلُّص منه بالتأكيد ، دون كشف الأمر .

غمغم (إيلى) فى شك :

ـ لست أظن ذلك يا سيِّدى .

ابتسم مدير (الموساد) فى ثقة ، وهو يقول :

ـ لا يوجد شخص يصعب التخلُّص منه ، وأنت نفسك أثبتَّ ذلك ، حينما قضيت على (أدهم صبرى) ، مثلما قضيت أنا على والده من قبل .

اتسعت عينا (إيلى) ، وهو يهتف فى ذهول :

ـ أنت ؟

اتسعت ابتسامة مدير (الموساد) ، وتراجع فى مقعده فى زهو ، وهو يقول بلهجة تحمل كل الفخر :

ـ نعم .. أنا قتلت والد (أدهم صبرى) .. أنا حامل هذا الشرف ، و .....

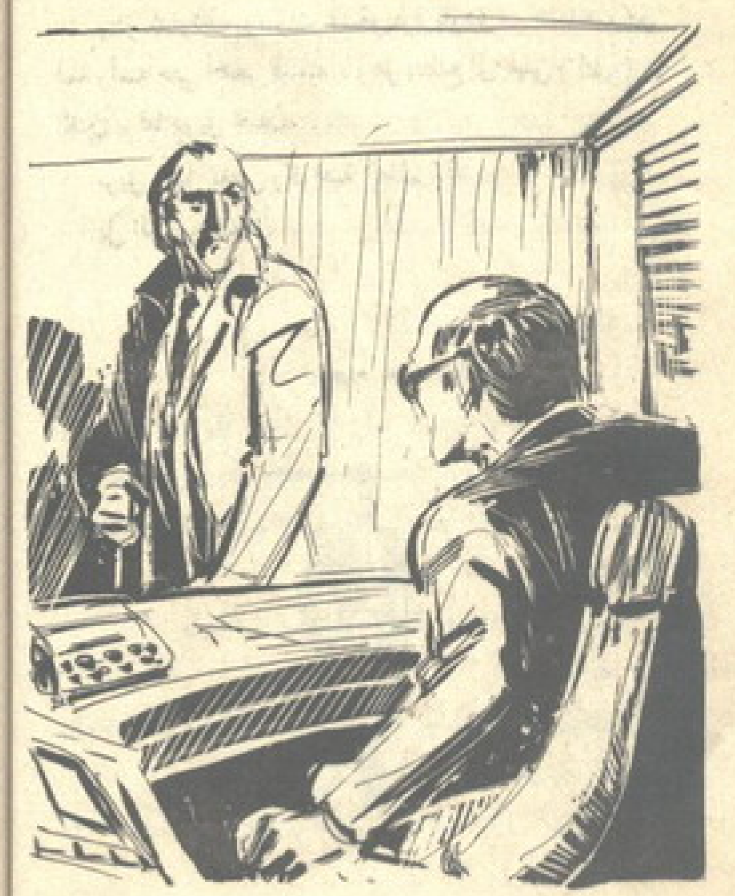
وبتر عبارته ، وسرَت قشعريرة باردة فى جسده ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، وهو يتطلَّع إلى عينى (إيلى) ، اللتين برقتا ببريق مخيف ..

بريق يحمل بغض وكراهية العالم كله ..

بل الكون كله ..







وسَرَت قُشَعْرِيرَة باردة فى جسده ، من قمة رأسه حتى أخمص قدميه وهو يتطلّع إلى عينى (إيلى) ، اللتين برقتا ببريق مخيف .

٤ ـــ الشَّكّ ..

رُعب هائل ذلك الذى ملأ قلب مدير (الموساد) ، وهو يتطلّع إلى عينى (إيلى كوهين) ..

رُعب رهيب ، لم يستغرق سوى لحظات ، تلاشى بعدها بريق البغض من عينى (إيلى) ، وحلّ محلّه بريق آخر مخيف ، تراقص مع كلمات هذا الأخير ، وهو يغمغم فى بطء :

ـــ إذن فهو أنت ؟!

مضت فترة من الصَّمت ، ومدير (الموساد) يحدّق فى عينى (إيلى) فى توتُّر بالغ ، قبل أن يغمغم فى خُفُوت :

ـــ لقد كان ذلك منذ ما يزيد قليلًا على العشرين عامًا ..

تلاشى بريق عينى (إيلى) ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ نعم .. أعلم ذلك .

حدجه مدير (الموساد) بنظرة تجمع بين الدَّهشة والرِّيبة ، فى صَمْت ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ عُد إلى منزلك يا (إيلى) ، حتى نقرِّر ما إذا كنت ستعود إلى (القاهرة) أم تبقى هنا .

نهض (إيلى) ، وهو يقول :

ــ إننى أفضّل العــودة إلى (القاهــرة) يا سـيّـدى ، فسأكون أكثر فاعليّة هناك ، و .....

قاطعه مدير (الموساد) فى حزم :

ــ سندرس ذلك .

وأشار إليه بالانصراف ، فاتجه (إيلى) نحو باب المكتب ، ثم توقّف ، والتفت إلى مدير (الموساد) ، مغمغمًا :

ــ كنت أتوقّع مكافأة .

تطلّع إليه مدير (الموساد) لحظة فى صَمْت ، ثم غمغم :

ــ بالتأكيد .

وبدا صوته صارمًا ، جافًا ، وهو يُرْدِف :

ــ ستحصل على ما سيدهشك .

ابتسم (إيلى) ، وغادر المكتب ، وأغلق الباب خلفه فى هدوء ، على حين ظلّ مدير (الموساد) صامتًا ، يعقد حاجبيه فى شكّ وريبة ، وقد استقرّ بصره على الكأس الممتلئة ، التى لم يقربها (إيلى) ، ثم اعتدل فجأة ، وضغط زرّ جهاز الاتصال الداخلىّ ، وهو يقول فى حزم :

ــ (زايون) .. تعال إلى مكتبى على الفور .

هُرِع إليه (زايون) ، وقد استشفّ من لهجته خطورة الأمر ، وسأله فى قلق :

ــ ماذا تريد يا سيّدى ؟

أشار مدير (الموساد) إلى كأس (إيلى) ، وهو يقول :

ــ خذْ هذه الكأس ، ولكن التقطها فى حِرْص ، واذهب بها إلى مكتب فحص البصمات ، واطلب من الرجال هناك مقارنة ما عليها من بَصَمَات ، ببصمات (إيلى كوهين) ، وبكل ما لدينا من بَصَمَات ، فى حالة عدم مطابقتها لبَصَمَات (إيلى) .

عقد (زايون) حاجبيه فى دهشة ، وهو يلتقط الكأس فى حذر ، مغمغمًا :

ــ كما تأمر يا سيّدى .

قال مدير (الموساد) فى توتّر :

ــ مُرْ بعض الرجال أيضًا بتعقّب كل تحرّكات (إيلى) ، وتسجيلها خطوة خطوَة ، وأدرج اسمه فى قوائم الممنوعين من مغادرة (تل أبيب) ، لحين صدور أوامر أخرى .

لم يحتمل (زايون) كل هذا القدر من الدهشة ، فهتف فى حَيْرة :

ــ ولكن لماذا يا سيّدى ؟

عقد مدير (الموساد) حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

ــ إننى أشك فى أن هذا الرجل ليس (إيلى كوهين) .

اتسعت عينا (زايون) فى دهشة بالغة ، وتدلت فكه السفلى فى ذهول ، قبل أن يهتف :

ــ مستحيل ياسيدى !!.. إننا نحفظ جميعًا ملامح (إيلى)، ولايمكن أن تخطئ آذاننا صوته ولهجته .

أجابه مدير (الموساد) فى صرامة :

ــ كل هذا يمكن تقليده، ولاتنس أنه ينتحل شخصية رجل آخر منذ سنوات ، ولم يُكشف أمره حتى الآن .

هزّ (زايون) رأسه فى حيرة ، وغمغم :

ــ ولكن (إيلى) قطع الرّحلة كلها ، من (القاهرة) إلى هنا دون خطإ واحد ، ومسار الرحلة بالغ السّرّيّة ، ولن يعرف به (إيلى) أبدًا ، حتى ولو كانوا قد ألقوا القبض عليه فى (القاهرة) ، و .....

ازداد انعقاد حاجبى مدير (الموساد) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ كل هذا صحيح ، ولكننى أكاد أكون واثقًا من أن هذا الرجل ، الذى غادر مكتبى منذ لحظات ، ليس (إيلى كوهين) الذى نعرفه .

واستعادت ذاكرته نظرات الكراهية والبغض ، التى أطلّت من عينى (إيلى) ، وعاودته تلك القشعريرة الباردة ، وهو يستطرد :

ــ ليس هو أبدًا .

* * *

غادر (إيلى كوهين) مبنى (الموساد) ، فى شارع (بن جوريون) ، وراح يقطع شوارع (تل أبيب) على قدميه ، فى خطوات سريعة ، متخذًا عدّة مسارات متشابكة معقّدة ، ثم دلف إلى أحد الأحياء القديمة ، التى تزخر بالمتاجر العربية ، وتقدّم نحو متجر صغير لبيع العطور ، وراح يستعرض بضاعته فى تراخ ، قبل أن يسأل صاحبه بالعربية :

ــ ألا أجد لديك عطرًا خاصًا ، يصلح كهديّة فريدة ؟

رمقه صاحب المتجر بنظرة طويلة ، قبل أن يُشيح بوجهه مغمغمًا :

ــ أهى مناسبة خاصّة ؟

أومأ (إيلى) برأسه إيجابًا ، وقال فى هدوء :

ــ بالتأكيد .. إنها مناسبة خاصّة وسرّيّة .

عاد الرجل يرمقه بنظرة طويلة ، ثم سأله :

ــ أتحتاج إلى عطر ذى رائحة نفّاذة ؟

أجابه (إيلى) فى هدوء :
ـــ بل إلى عطر بلا رائحة على الإطلاق .
ارتسمت على شفتى الرجل ابتسامة خافتة ، تلاشت فى سرعة ، وهو يشير إلى داخل متجره ، قائلاً :
ـــ عندى ما يلزمك فى الداخل .
ثم قاد (إيلى) إلى داخل المتجر ، وهو يستطرد فى حماس :
ـــ إن متجرى يحوى ما لا يخطر ببالك .
وتحرّك خلف صوان ضخم ، وتبعه (إيلى) فى هدوء ..
وفجأة ، وفى حركة سريعة ، دفع صاحب المتجر جزءًا من حائط متجره ، فدار حول محوره ، كاشفًا عن باب سِرّىّ ، عَبَرَهُ (إيلى) فى سرعة ، وابتسم ملقيًا تحيّة خافتة على شاب عربىّ ، يملك قوامه نفسه ، ويرتدى حُلَّة مماثلة لحُلّته تمامًا ، فبادله الشاب تحيته فى سرعة ، وعَبَرَ الباب السِّرّىّ فى الاتجاه المضاد ، ووقف يتحدَّث مع صاحب المتجر ، مُوليًا ظهره لباب المتجر .

وعلى الرغم من أن ملامح الشاب العربى كانت تختلف كثيرًا عن ملامح (إيلى) ، إلّا أن ظهره كان يشبه ظهر هذا الأخير تمامًا ، وهو يتحدَّث مع صاحب المتجر ، الذى راح يعرض

عليه بضاعته فى حماس ، وكأنما يواصل حديثه مع (إيلى) نفسه ..
أمَّا (إيلى) ، فقد أغلق الباب السِّرّىّ خلفه ، وصافح رجلاً عربيًا ، يجلس أمام جهاز لاسلكىّ كبير ، وهو يقول بلهجة مصريّة خالصة :
ـــ كيف حالك يا صديقى ؟
ابتسم العربىّ ، وصافحه فى حرارة ، قائلاً :
ـــ ما زلت حيًّا والحمد لله .. مرحبًا بك بيننا .. لقد تلقَّينا رسالة (القاهرة) ، ونحن ننتظرك منذ الصباح .. أنا بالذات أنتظرك فى لهفة ، إذ أتوق للقائك منذ زمن طويل يا سيادة المقدّم (أدهم) .
ابتسم (أدهم) ، الذى ينتحل شخصية (إيلى كوهين) ، وهو يغمغم :
ـــ شكرًا يا صديقى .
ثم التقط من جيبه تلك القائمة ، التى تحوى أسماء كل أفراد شبكة المخدّرات ، ودفعها نحو الرجل ، قائلاً :
ـــ أرسل هذه إلى (القاهرة) ، على الفوْر ، وقُلْ لهم أن يبدءُوا التنفيذ .

تناول العربىّ القائمة ، وهو يقول فى إعجاب :

ــ تمامًا مثلما ذكروا عنك يا سيادة المقدّم .. إنك تتم عملك فى سرعة وإتقان .

شرد بصر (أدهم) لحظة ، وهو يغمغم :

ــ أتمنّى ذلك .

بدأ العربى فى إرسال القائمة لاسلكيًا إلى (القاهرة) ، على حين ظلّ (أدهم) صامتًا لحظات ، ثم اتجه نحو الباب السّرّىّ ، وطرقه فى هدوء ، ثم فتحه فى حذر ، وأشار إلى الشاب العربىّ ، الذى يرتدى حُلّة مشابهة لحُلّته ، فاتجه الشاب نحو الباب السّرّىّ ، وكأنه يستعرض مزيدًا من أصناف العطور ، ودلف عَبْرَ الباب السّرّىّ ، على حين غادره (أدهم) ، والتقط زجاجة عطر ، وهو يقول لصاحب المتجر فى صوت (إيلى كوهين) :

ــ حسنًا .. سآخذ هذه .

التقطها منه صاحب المتجر ، وهو يبتسم ابتسامة واسعة ، قائلاً فى صوت مرتفع :

ــ لن تندم على اختيارك أبدًا يا سيّدى .

وتظاهر بأنه يغلّف زجاجة العطر ببعض الورق المزركش ، وهو يستطرد فى صوت خافت :

ــ هذه الزجاجة لن تناسبك .. إن (راشيل) زوجة (إيلى) تفضّل عطر (شانيل ــ ١٩) ، ولقد أعددته لك .

وانحنى وكأنه يلتقط خيطًا ملوّنًا ، وأبدل الزجاجة بأخرى من ذلك النوع ، الذى يروق لزوجة (إيلى كوهين) ، وناولها لـ (أدهم) ، صائحًا فى صوت يسمعه الجميع :

ــ إن متجرى يرحّب بك فى أيّة لحظة يا سيّدى .

وقاده إلى خارج المتجر ، وهو يستطرد هامسًا ، دون أن تفارق ابتسامته شفتيه :

ــ كُنْ على حذر ، فهناك رجلان يراقبان مَتْجَرِى ، منذ دلفت أنت إليه .

ظلّت ملامح (أدهم) هادئة ، وهو يقول :

ــ إذن فهم يستريبون فى أمرى !!

أجابه صاحب المتجر فى حزم :

ــ يبدو ذلك .. وهذه بادرة خطر .. إذا كنت قد أتممت مهمّتك ، فغادر المكان كله ، وعُدْ إلى (القاهرة) ، قبل فوات الأوان .

أجابه (أدهم) فى صرامة :

ــ مستحيل يا صديقى .. إن أمامى مهمّة أخرى ، انتظرت ما يقرب من عمرى كله ؛ لأنهيها على نحو لائق .

وقاده إلى خارج المتجر ، وهو يستطرد هامسًا ، دون أن تفارق ابتسامته شفتيه .

وبدا صوته مُخيفًا رهيبًا ، وهو يستطرد في حزم وصرامة :

ــ مهمّة خاصّة .. خاصّة جدًّا .

وتردّد في رأسه صوت مدير (الموساد) ، وهو يقول في فخر وتبجُّح :

ــ نعم .. أنا قتلت والد (أدهم صبري) .. أنا حامل هذا الشرف .

وبكراهية وبغض لا مثيل لهما ، غمغم (أدهم) :

ــ ستدفع ثمن ذلك أيها الوغد .. ستدفع الثمن ، ولو كان هذا آخر ما أفعله في حياتي كلها .. ستدفع الثمن ..

* * *



٥ ــ بركان الانتقام ..

تهلّلت أسارير (راشيل) زوجة (إيلى كوهين) ، حينما رأت (أدهم) ، الذى يحمل وجه زوجها ، وهو يدلف إلى المنزل ، فأسرعت إليه وهى تهتف :

ــ (إيلى) !.. يا لها من مفاجأة !!.. كم تسعدنى عودتك يا عزيزى !!

أرادت أن تعانقه فى حرارة ، إلا أنه أوقفها بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول فى جفاء :

ــ ليس الآن يا (راشيل) .. إننى مرهق للغاية ، وأحتاج إلى بعض الراحة أوّلًا .

تطلّعت إليه فى دهشة ، إزاء موقفه الجاف معها ، على الرغم من أنهما لم يلتقيا منذ سبعة أشهر ، فعقدت حاجبيها ، وهى تقول فى غضب :

ــ ماذا أصابك ؟.. هل تزوّجت قاهريّة ؟

ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ــ ليس بعد .

ثم دفع إليها زجاجة عطرها المفضّل ، وهو يستطرد :

ــ هذه لك .

فضّت غلاف الزجاجة ، وتأمّلتها فى برود ، ثم ألقتها جانبًا ، وهى تغمغم فى حَنَق :

ــ من حسن الحظ أنك ما زلت تذكر عطرى المفضّل .

ابتسم ، وهو يقول :

ــ نعم .. من حسن الحظ .

مالت نحوه ، وهى تهتف فى حِدّة :

ــ ماذا أصابك ؟.. إنك تبدو لى مختلفًا .

أجابها فى خشونة :

ــ قلت لك إننى مُرْهق للغاية .

ثم نهض ليتوجّه إلى حجرة نوم (إيلى) ، فجذبته إليها فى عنف ، وهى تهتف فى حِدّة :

ــ انتظر .

وأحاطت وجهه بكفّيْها ، وهى تستطرد فى مرارة :

ــ ألم تعُد تحبّنى ؟.. ألم ...... ؟

اتسعت عيناها بغتة فى ذُعر وذُهول ، وأبعدت كفّيها عن وجهه بحركة حادّة ، وكأنما صعقها تيّار كهربىّ ، وهى تهتف :

ــ هذه ليست بشرتك !.. إنك لست زوجي !.. مَن أنت ؟!

وتحوّل هتافها إلى صرخة رُعب ، وهي تستطرد :

ــ مَن أنت ؟..

* * *

عقد مدير (الموساد) حاجبيه ، وهو يستمع إلى تقرير الرجلين ، اللذين تعقّبا (أدهم) حتى منزل (إيلى) ، ثم قال فى حِدّة :

ــ فقط ؟!.. هل ابتاع زجاجة عطر فقط ؟

أجابه أحد الرجلين فى تأكيد :

ــ نعم يا سيِّدى ، وبعدها عاد إلى منزله مباشرةً .

سأله مدير (الموساد) فى اهتمام :

ــ وما نوع زجاجة العطر ؟

أجابه الرجل الآخر :

ــ (شانيل ــ ١٩) يا سيِّدى .

مطّ مدير (الموساد) شفتيه ، وهو يغمغم :

ــ نفس العطر الذى تستخدمه زوجته (راشيل) .. عجبًا !!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى طرق أحدهم باب حجرته ، فاستطرد فى حِدّة :

ــ ادخل .

دلف مساعده (زايون) إلى الحجرة ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ لقد انتهى الرجال من فحص البصمات يا سيِّدى .

هتف به فى لهفة :

ــ وما النتيجة التى توصّلوا إليها ؟

أجابه (زايون) فى ارتياح :

ــ إنها بصمات (إيلى) يا سيِّدى .

عقد مدير (الموساد) حاجبيه فى شِدّة ، وهو يغمغم :

ــ عجبًا !!.. عجبًا !!.

ارتسمت ابتسامة شاحبة على شفتى (زايون) ، وهو يقول :

ــ يبدو أن شكوكنا لم تكن فى محلّها يا سيِّدى .

حدجه مدير (الموساد) بنظرة طويلة حاوية ، ثم نهض من خلف مكتبه ، واتجه نحو نافذته ، ووقف يتطلّع منها طويلًا ، وهو يعقد كفّيه خلف ظهره ، واحترم الجميع صمته ، فران

على الحجرة صمت تام ، قبل أن يلتفت هو إلى (زايون) ، ويسأله بغتة فى انفعال :

— كم تستغرق لشراء زجاجة من عطر زوجتك المفضّل ؟

أجابه (زايون) فى دهشة :

— ما يكفى من الوقت لطلبها ، وإحضار البائع لها ، ودفع ثمنها .

هتف مدير (الموساد) ، وقد تضاعف انفعاله :

— هذا يعنى أنك ستطلبها مباشرةً ، وتنقُد البائع ثمنها ، ثم تحملها وتنصرف .. أليس كذلك ؟

غمغم (زايون) فى حَيْرة :

— هذا صحيح .

دقّ مدير (الموساد) سطح مكتبه بقبضته فى قوة ، وهو يهتف :

— لماذا استغرق (إيلى) إذن كل هذا الوقت ؟.. ولماذا استعرض كل الأنواع ، ما دام يعلم مُسَبَّقًا نوع العطر ، الذى تفضّله زوجته ؟

اتسعت عينا (زايون) فى توتر ، ثم غمغم فى خفوت :

— ربّما فضّل شراء نوع أفضل ، أو ......

قاطعه مدير (الموساد) فى انفعال :

— كلّا يا (زايون) .. ليس هذا بالتفسير المُقنِع .

ثم استدار إلى الرجلين الآخرين ، هاتفًا فى حزم وصرامة :

— خذوا ما يلزمكم من رجال ، واقتحموا متجر العطور هذا ، وحطّموا كل ركن فيه إذا ما لزم الأمر ، لمعرفة ما يخفيه ذلك المكان المُريب .

وعاد يضرب سطح مكتبه بقبضته ، مستطردًا فى غضب :

— سأكشف هذا اللُّغز ، أو أترك هذا المقعد لغيرى .. إلى الأبد .

* * *

قاومت (راشيل) فى شراسة نَمِرَة مُفْتَرِسة ، بعد أن كمّم (أدهم) فمها ، وراح يقيِّد معصميها وقدميها فى إحكام ، حتى انتهى ، فنهض واقفًا ، وابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

— أهنّئك .. لقد كنت أكثر براعة من الجميع .. أنت وحدك كشفت أننى لست (إيلى) .

صدرت من فمها المكمّم همهمة غاضبة ، فاستطرد فى هدوء :

— يؤسفنى أنك لن ترين زوجك الوغد بعد ذلك أبدًا ، فهو الآن فى قبضتنا ، وسيدلّى عمّا قريب من حبل المشنقة .

قاومت فى عنف ، وهى تتابع همهماتها الغاضبة ، فأردف فى أسف :

ـ صدقينى .. إننى أشعر بالأسف ، لأننى سأحرم زوجة محبّة مثلك من زوجها ، ولكن زوجك يستحق ذلك ، فهو وغد زنيم ، يحصل على دخله فى مقابل نشر السّموم بين بنى وطنى ، ومن المستحيل أن نغفر له ذلك .

استكانت فى ألم ، وراحت الدموع تنهمرُ من عينيها فى غزارة ، فأشاح (أدهم) بوجهه ، وغادر حجرتها فى هدوء ، وزفر فى عمق ، وهو يغمغم :

ـ يا لبشاعة هذا العالَم !!

وجلس فوق مقعد قريب ، وأسند رأسه إلى مسند المقعد ، وراح ـ للمرّة الألف ـ يسترجع عبارة مدير (الموساد) :

ـ نعم .. أنا قتلت والد (أدهم صبرى) .. أنا حامل هذا الشرف .

ومن أعماقه تصاعد مزيج من البُغض والمَقت والكَراهية .

لقد عثر أخيرًا على ذلك الشخص ، الذى قتل ـ منذ ما يزيد على العشرين عامًا ـ الرجل الذى كان له الفضل الأوّل فى كَوْنه (رجل المستحيل) ..

عثر عليه حقًا ، بعد أن تصوّر فى عملية سابقة ، أنه قد انتقم لوالده(*) .

ومن أعمق أعماق قلبه ، راحت الذكريات تتدفق فى رأسه ..

ذكريات علاقته بوالده ، وإصرار هذا الأخير ـ رحمه الله ـ على أن يجعل منه أقوى رجل مخابرات فى العالم ، منذ كان هو فى الثالثة من عمره(**) .

ومن كل خليّة من خلاياه ، تدفّقت حُمَم الغضب ..

انفجر بركان الانتقام فى أعماقه قويًا هادرًا ..

كل ذرّة فى كيانه راحت تطالب بالثأر ، وتسعى للانتقام ..

وفى صوت يحمل كراهية العالَم كله ، وبُغض الدنيا كلها ، وحزم وصرامة الكون بأكمله ، غمغم (أدهم) :

ـ سيدفع الثمن .. سيدفع هذا الوغد الثمن .

وعاد بركان الانتقام ينفجر فى أعماقه ..

* * *

(*) راجع قصة (الضباب القاتل) .. المغامرة رقم (٢٤) .

(**) راجع قصة (ملائكة الجحيم) .. المغامرة رقم (٦١) .

ارتسم مزيج من القلق والتوتر فى عيون الجميع ، فى الحىّ التجارىّ العربىّ ، فى قلب (تل أبيب) ، حينما عَبَرته واحدة من سيارات الجيش الضخمة ، الزاخرة بالجنود ، وتوقّفت أمام متجر العطور الصغير ، وهبط منها الجنود فى شراسة واضحة ، واندفعوا نحو المتجر ، الذى صاح صاحبه فى استنكار :

— ماذا حدث ؟.. إننى مواطن مُسالِم ، أسدِّد الضرائب فى انتظام ، و .....

أخرسته ضربة قويّة عنيفة من كعب بندقية آلية ، حطّمت فكّه ، وألقته فاقد الوعى ، فوطِئته أقدام الجنود ، وهم يقتحمون المَتجر ، ويحطّمون كل ما يصادفهم ، وتصاعدت فى الحىّ رائحة قويّة ، هى مزيج من أفخم وأرق العطور ، وأبشع وأقذر الأساليب ..

وارتفع صوت (زايون) ، وهو يهتف فى لهجة آمرة :

— حطّموا كل شىء .. نقّبوا الجدران ، أو اهدموا المبنى كلّه إذا ما لزم الأمر .

وهنا هتف أحد الجنود :

— هناك باب سرّىّ خلف هذا الصوان .

هتف بعبارته ، وهو يدفع الباب السّرّىّ فى قوّة ، فتصاعد دوىّ طلقات مدفع آلىّ ، أطاحت بالجندىّ ، واندفع من الحجرة السّرّيّة فدائيّان فلسطينيّان ، أمطرا الجنود بالنيران ، وأمطرهما الجنود بالرصاصات ، وساد الهرج والمرج فى الحىّ التجارىّ العربىّ ، وراح الجميع يتدافعون للفرار ، وسقط سبعة من الجنود ، قبل أن يسقط الفدائىّ الأوّل صريعًا ، ثم سقط جنديّان آخران ، قبل أن يعجز الفدائى الثانى عن مواصلة إطلاق النار ، بعد أن تحوّل جسده إلى مِصفاة ، من كثرة ما اخترقه من رصاصات ، فصاح قبل أن يَهْوِى جثة هامدة :

— سينتقم لنا المقدّم (أدهم) .. سينتقم لنا .

ساد الهدوء التام ، بعد أن لقى الفدائىّ الثانى مصرعه ، واتسعت عينا (زايون) فى ذعر وذهول ، وهو يردّد فى ارتياع :

— المقدّم (أدهم) ؟. ربّاه !! إن الشيطان حىّ .. حىّ ..

* * *

٦ — فى قَلْبِ اللَّهب ..

« حىّ ؟!!..... » ..

نطق مدير (الموساد) بتلك العبارة فى ذهول ، وهو يهوى فوق مقعده ، واتسعت عيناه ، وجحظتا فى شدّة ، حتى خُيّل لـ (زايون) أنهما سيقفزان من محجريهما ، وهو يغمغم فى مرارة :

— هذا هو التفسير الوحيد يا سيّدى ، فلقد عثرنا فى تلك الحجرة السّرّيّة ، الملحقة بمتجر العطور ، على قائمة أفراد شبكة (القاهرة) ، التى حصل عليها (إيلى) ، وعلى جهاز إرسال قوىّ ، من ذلك النوع الذى يصعب تعقُّب موجاته .

عاد مدير (الموساد) يردّد فى ذهول :

— حىّ ؟!..

وخفت صوته فى انهيار ، وهو يستطرد :

— إذن فقد كان خصمنا اللّدود هنا .. فى مكتبى .. وبكل الجُرْأة والتبجُّح !!

واكتنف الهلع ملامحه وصوته ، وهو يُرْدف فى ارتياع :

— وأنا اعترفت له بأننى قاتل والده .

أجابه (زايون) فى حزم غاضب :

— لن يفلت منّا هذه المرّة يا سيّدى .. لقد بالغ فى استهتاره وتحدّيه لنا هذه المرّة ، ووضع نفسه بنفسه بين أيدينا ، ولن نسمح له بالخروج من دولتنا حيًّا أبدا .

انتفض مدير (الموساد) ، وهتف فى حِدّة :

— وماذا تنتظر ؟.. مُرْ رجالك باقتحام منزل (إيلى) ، وانسفه إذا مالزم الأمر ، ولكن عُدْ إلىّ بجثة ذلك الشيطان المصرىّ .

تردّد (زايون) لحظة ، ثم غمغم فى خنق :

— معذرة يا سيّدى .. إننى لم أنتظر أوامرك فى هذا الشأن .. لقد بادرت ، فور سماعى لعبارة ذلك المخرّب العربىّ ، بمهاجمة منزل (إيلى) .

هتف به مدير (الموساد) ، فى صوت متحشرج من شدّة الانفعال :

— وماذا حدث ؟

عقد (زايون) حاجبيه فى غضب ، وهو يجيب :

— لم يكن هناك .. لقد عثرنا على (راشيل) ، مقيّدة داخل حجرتها ، وعلى قناع مطاطيّ رقيق ، يحمل وجه (إيلى) ، ولكننا لم نعثر على أدنى أثر لذلك الشيطان المصريّ .

اتسعت عينا مدير (الموساد) فى ذعر ، وهو يهتف :

— كيف ؟!.. وماذا عن الرجال الذين كانوا يراقبون المنزل ؟

أجابه (زايون) فى حنق :

— لقد كانت الأوامر ، الصادرة إليهم ، تقتضى مراقبة (إيلى كوهين) وتعقُّبه يا سيِّدى ، وهو يقيم — كما تعلم — فى بناية ضخمة ، ولا ريب أن ذلك الشيطان المصرى قد غادر البناية ، وهو متنكّر فى هيئة جديدة ، بعد أن نزع قناع (إيلى) ، فلم يخطر ببال رجالنا أن يتعقّبوه .

صاح مدير (الموساد) فى غضب :

— الأغبياء .

ثم تراجع فى هلع ، مستطردًا :

— ولكن هذا يعنى أنه حُرٌّ طليق ، وأنه لن يهدأ حتى ينتقم منّى .

شعر (زايون) بالحنق ، إزاء عجز رئيسه عن إخفاء خوفه الشديد ، فقال فى توتُّر :

— لن نسمح له بذلك يا سيِّدى .. سنتخذ كل الإجراءات لمنع حدوث ذلك .

هتف مدير (الموساد) فى توتُّر :

— نعم .. اتخذوا كل ما يلزم من الإجراءات .. أعلنوا حالة الطوارئ ، اعتقلوا كل من تشتبهون فى أمره ، أطلقوا النار على كل من يقاوم ، أو يحاول الهرب .

ثم نهض من خلف مكتبه ، مستطردًا فى عصبيَّة :

— وسأعتصم أنا بمنزلى ، وسأحيطه بكل الحراسة اللازمة .

زفر (زايون) فى حنق ، وهو يقول :

— افعل ما يحلُو لك يا سيِّدى ، أمّا نحن ، فسنفعل المستحيل ؛ لنعتقل ذلك الشيطان المصرىّ .

وسَرَت فى صوته نبرة خشنة ، وهو يُردِف فى صرامة :

— سيندم على سخريته بنا هذه المرّة .. لقد اقتحم قلب اللهب ، فليحترق به إذن .

* * *

أوقف التاجر الفلسطينى (أبو عيَّاد) سيَّارته (الجيب) ، أمام منزل عربىّ صغير من طابقين ، وهبط منها فى



ثم توجه نحو حجرة جانبية ، وتطلّع إلى كهل أشيب ، يجلس محنيّ الظهر .

هدوء ، وطرق باب المنزل ، وسأل الفتاة التى استجابت لندائه فى اهتمام :

ــ أهو هنا ؟!

أجابته فى انفعال واضح :

ــ نعم إنه ينتظرك

دلف إلى المنزل ، وأغلق بابه خلفه فى إحكام ، ثم توجه نحو حجرة جانبية ، وتطلّع إلى كهل أشيب ، يجلس محنيّ الظهر ، والتجاعيد تملأ وجهه العجوز ، وسأله فى حَيْرة :

ــ أهو أنت ؟

ابتسم الكهل ابتسامة ساخرة ، تتعارض فى تألقها وحيويتها مع ملامحه المتجعّدة ، وقال فى صوت يشفّ عن نشاط وقوة :

ــ نعم .. هو أنا .

اتسعت عينا (أبى عبّاد) ، وهو يجلس إلى جواره ، هاتفًا فى مزيج من الدهشة والإعجاب :

ــ ربّاه !!.. أنت عبقرىّ فى التنكّر حقًا ، كما يتناقلون عنك .

تجاهل (أدهم) هذا الإطراء ، وهو يقول فى اهتمام :

— هل جمعت لى ما أريد من معلومات ، عن محل إقامة ذلك الحقير ؟

عقد (أبو عيّاد) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— أتقصد مدير (الموساد) ؟

أجابه (أدهم) فى لهجة تحمل بعضًا من كراهيته للرجل :

— ومن أقصد غيره ؟

ازداد انعقاد حاجبى (أبى عيّاد) ، وزفر فى عمق ، قبل أن يسأل (أدهم) فى توتُّر :

— ماذا تريد منه ؟!.. لقد أبلغتنا (القاهرة) أنك قد أتممت مهمَّتك بنجاح ، فلماذا تصرُّ على البقاء هنا ؟

شرد (أدهم) ببصره ، وهو يقول فى صرامة :

— مازالت أمامى مهمَّة أخرى ، لن أغفر لنفسى أبدًا ، لو تقاعست عن أدائها .

هتف (أبو عيّاد) فى استنكار :

— إذن فهو ثأر شخصىّ .

أجابه (أدهم) فى حزم :

— هو ذاك .

تنهَّد (أبو عيّاد) ، وهو يتطلَّع إليه طويلًا ، قبل أن يقول فى حنان أبوىّ :

— لاتستسلم لشريعة الغابة يا ولدى .. لا تجعل ثورة الانتقام تحجب عن عينيك حقيقة دورك فى الدنيا .

هتف (أدهم) فى حِدَّة :

— هل تطالبنى بترك قاتل أبى ؟

صاح به (أبو عيّاد) فى صرامة :

— نعم .. إننى أطالبك بنسيان أى ثأر شخصى ؛ لأن دورك الحقيقى فى هذه الحياة ، هو أن تناضل من أجل وطنك .. من أجل قضاياه وأمنه ، لا من أجل نفسك .

غمغم (أدهم) فى حزم :

— فاقد الشىء لا يعطيه يا عمَّاه .. لن أقاتل من أجل وطنى فى حماس ، ما لم أنْهِ قضاياى الشخصيَّة أوَّلًا .

قال (أبو عيّاد) ، فى لهجة أقرب إلى الرجاء :

— ولكنك تعرِّض نفسك لخطر بالغ يا ولدى .. هل تعلم ماذا يَعْنِيه اسمك هنا ؟.. لقد صرت أسطورة .. أمل فى التحرُّر من ظلم هؤلاء الأوغاد وطغيانهم .. ومصرعك فى أرضنا سيقتل ذلك الأمل فى القلوب .. رمز المقاومة الدائبة المستميتة .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— لاتبالغ هكذا يا عمّاه .. إننى لاأستحق كل هذا الثناء .

هتف (أبو عيّاد) فى حرارة :

— ولكنك كذلك بالفعل ياولدى .

أجابه (أدهم) فى حزم :

— لذا فمن الضرورى أن أنتقم .

ثم التفت إليه ، مستطردًا فى صرامة :

— لو أننى انتصرت ، فسأكون قد حقّقت هدفين بضربة واحدة يا عمّاه .. سأنتقم من قاتل أبى ، وأحطّم زعيم (الموساد) أمام الجميع ، وهذا سيحطّ من تلك الأسطورة الزائفة ، التى ينسجها (الموساد) حول نفسه ، وسيشعل الحماس فى قلوب الجميع

غمغم (أبو عيّاد) فى مرارة :

— وماذا لو فشلت ؟

صمت (أدهم) طويلًا ، قبل أن يغمغم فى خفوت :

— لن أفشل بإذن الله يا عمّاه .

ثم استطرد فى سرعة ، قبل أن يعترض (أبو عيّاد) :

— والآن ، ماذا لديك من معلومات عن منزل ذلك الوغد ؟

تنهّد (أبو عيّاد) فى استسلام ، وقال :

— الكثير .

ثم أردف فى توتّر :

— إنه يقيم فى حصن .

وفرد أمام عينى (أدهم) ورقة كبيرة ، تحوى رسمًا للمنزل ، وهو يستطرد :

— إن منزله ڤيلّا من طابقين ، تحيط بها حديقة كبيرة يحرسها عشرة رجال مسلحين بالمدافع الآلية ، وتنتهى بسور مرتفع ، يصل ارتفاعه إلى ستة أمتار ، وينتهى من أعلى بسور آخر من الأسلاك الشائكة ، يسرى فيه تيار كهربىّ عنيف ، والسّور مزوّد بآلات تصوير تليفزيونية ، تنقل إلى داخل الڤيلّا كل مايحدث خارج الأسوار ، ويتابع عملها خمسة رجال محترفين ، يتبادلون مراقبتها ، طيلة الأربع والعشرين ساعة ، ولقد اقتلع رجال (الموساد) كل شجرة ، أو نبتة تحيط بأسوار الڤيلّا ، بحيث باتت المنطقة كلها جرداء ، يستحيل أن تتسلّل حشرة واحدة إليها ، دون أن تكشفها آلات التصوير .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، وهو يقول :

— إن ذلك الوغد يقيم فى حصن بالفعل .

ثم نهض فى هدوء ، وتحرّك فى أرجاء الحجرة مفكّرًا فى عمق ، حتى توقّف بغتة ، وسأل (أبا عبّاد) فى اهتمام :

ـ وماذا عن طبيعة المنطقة المحيطة بالفيلّا ؟

أجابه (أبو عبّاد) فى يأس :

ـ أكثر وعورة .. فلقد بُنيت الفيلّا فى منطقة ذات طبيعة خاصّة ، بحيث يعلو جبل ضخم إلى يمينها ، وينحدر منحدر شديد الوعورة على يسارها ، وتمتد منطقة جرداء حولها ، وأمامها وخلفها ، كما شرحت لك الآن .

تألّقت عينا (أدهم) ، وهو يبتسم ، قائلًا فى هدوء :

ـ عظيم .

ثم وضع يده على كتف (أبى عبّاد) ، واستطرد فى حسم :

ـ لقد عثرت على الوسيلة يا عمّاه ، والليلة سأقتحم حصن الثعلب .

وشرد ببصره ، وهو يردف فى صرامة وعزم :

ـ وسأنتقم لأبى ، ولكل من راحوا ضحية ذلك الوغد .. بإذن الله .

* * *

٧ ـ حِصْن الثعلب ..

هتفت زوجة مدير (الموساد) فى حنق ، وهى تتطلّع إلى زوجها ، الذى بدا شديد الهَلَع والتوتّر فى تلك الليلة :

ـ ماذا أصابك ؟. إنك ترتجف كفأر غادر مصرفًا للمياه على التّوّ ، وينتظر انقضاض القِطّ عليه لالتهامه .. إننى لم أرَكَ قطّ على هذا النحو .

هتف بها فى خشونة عصبيّة :

ـ إليك عنّى .. لن أحتمل انتقاداتك السخيفة الليلة .

صاحت فى حِدّة :

ـ ماذا حدث ؟.. إننا نقيم فى حصن حصين كما تعلم .. حتى أنا أجد صعوبة فى الدخول والخروج ، فكيف تتصوّر أن يصل إليك ذلك المصرىّ ؟

خدجَهَا بنظرة ساخطة غاضبة ، وهو يقول فى عصبيّة :

ـ ذلك المصرىّ ، الذى تتحدّثين عنه ، ليس رجلًا عاديًا .. إنه شيطان حقيقى .

هتفت فى سخرية لاذعة :

ــ وماذا عنك أنت ؟.. ألست زعيم شياطين دولتنا ؟

عاد يرمقها بتلك النظرة الساخطة الغاضبة ، ثم اتجه نحو مكتبه ، وضغط زرّ جهاز الاتصال الداخلى ، وسأل رجال المراقبة فى توتُّر :

ــ كيف الأحوال ؟

أجابه أحدهم فى هدوء واحترام :

ــ كل شىء على ما يرام ياسيِّدى .. اطمئن ، ما من جُرَذٍ يمكنه الاقتراب من هنا ، دون أن تلتقطه آلات التصوير .

سأله مدير (الموساد) فى توتُّر :

ــ هل تعانون أيّة مشاكل ، بسبب غياب القمر هذه الليلة ؟

أجابه الرجل فى هدوء :

ــ على الإطلاق ياسيِّدى .. إن آلات التصوير تعمل بالأشعة دون الحمراء ، ولا يعوقها الظلام أبدًا .

تنهَّد مدير (الموساد) فى ارتياح ، وأنهى الاتصال ، على حين قالت زوجته فى سخرية :

ــ هل تشعر الآن بالاطمئنان ؟

عقد حاجبيه ، وهو يجيبها فى حنق :

ــ إلى حدٍّ ما .

هزّت رأسها فى أسف ، وهى تتحسَّر على ما أصاب زوجها وقالت :

ــ حسنًا .. هيَّا نأوى إلى فراشنا ، لقد تجاوزت الساعة منتصف الليل .

أجابها فى توتُّر :

ــ لست أظنّ أنه سيمكننى أن أحظى بالنوم هذه الليلة .

صاحت به فى غضب :

ــ ماذا أصابك حقًا ؟.. لقد كنت أكثر شجاعة فيما مضى .. ألم تكن أحد قادة حملة (دير يس) ؟..

هتف فى حدَّة :

ــ لقد صرت كهلًا ، ثم إننا لم نكن نواجه سوى الأطفال والنساء والشيوخ فى (دير يس) .

غمغمت فى سخرية :

ــ ياللشجاعة !

قاسى به الكيل ، فصاح فى وجهها محنقًا :

ــ كُفّى عن سخريتك هذه .. قلت لك إننى لن أحتمل .

ابتسمت فى هدوء ، وربّتت على كتفه ، وهى تقول :

ــ حسنًا يا عزيزى .. هيّا نأوى إلى فراشنا ، فأنت شديد التوتّر هذه الليلة ، وربّما يعيد إليك النوم بعض هدوئك .

تنهّد فى توتّر ، وهو يغمغم :

ــ نعم .. أنت على حقّ .

صعدا معًا إلى حجرة نومهما ، وقالت هى عند باب الحجرة :

ــ أراهنك أنك ستذهب فى سُبات عميق على الفور .

غمغم فى توتّر :

ــ لست أتوقّع ذلك .

ضحكت ، وهى تدفع باب الحجرة ، وتضغط زرّ الإنارة ، قائلة :

ــ هذا ما تظنه ، ولكنك ما إن تشاهد فراشنا الوثير ، حتى تتبدّل كل الأمور ، و .....

بترت عبارتها فجأة ، وحوّلتها إلى شهقة رُعب ، انتقلت إلى قلب زوجها ، الذى ارتجف فى ذُعر هائل ، وفقد ما تبقّى له من أعصاب ، وهو يحدّق فى الفراش فى رُعب ..

لقد تبدّلت كل الأمور حقًا ، حينما وقع بصرهما على الفراش ..

فهناك .. فوق الفراش الوثير ، تمدّد (أدهم صبرى) ، فى قميص وسروال حالِكَى السّواد ، وهو يبتسم فى سخرية وهدوء ، ويصوّب إليهما فوّهة مسدّس قوىّ ، مزوّد بكاتم للصوت ، وهو يقول :

ــ أنت على حقّ يا سيّدتى ، ستتبدّل كل الأمور ، حذارِ أن ينبس أحدكما بحرف واحد ، أدخلا إلى الحجرة فى هدوء ، وأغلقا الباب خلفكما فى إحكام ، وإلّا اخترقت رصاصاتى رأسيكما فى صمت وهدوء .

امتقع وجه مدير (الموساد) وزوجته فى شدة ، وغمغم هو فى مزيج من الانبهار والارتياع :

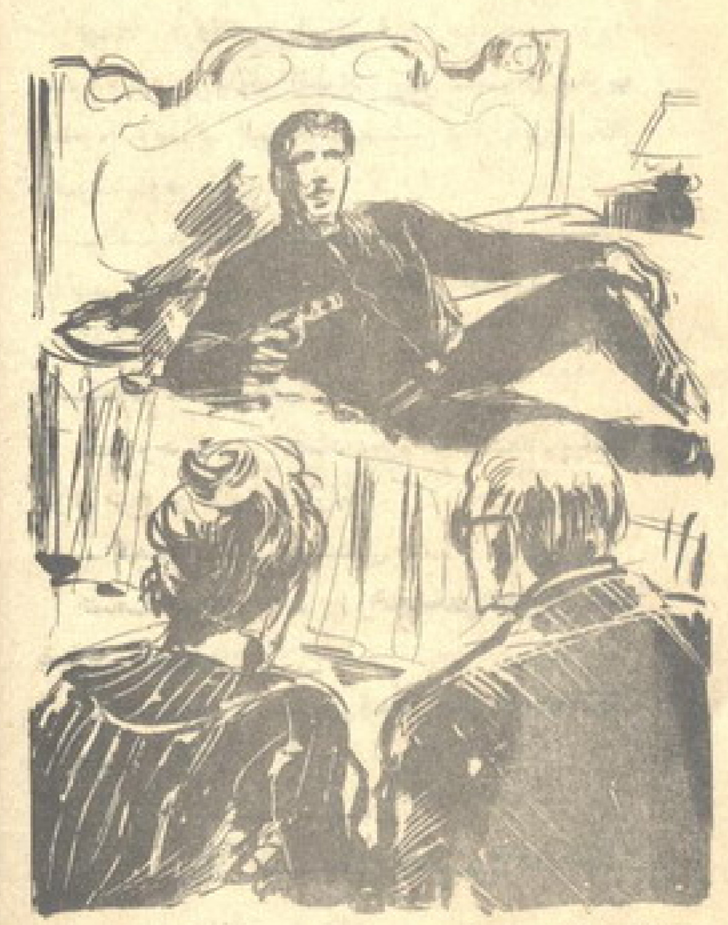
ــ كيف ؟.. كيف وصلت إلى هنا ؟

اتسعت ابتسامة (أدهم) ، وشملها بعض الغموض ، وهو يقول فى سخرية :

ــ حاول أنت أن تستنتج .. إنه لغز جدير بك ، يا شيطان الشياطين .. حاول .

* * *

بدا (أبو عيّاد) شديد التوتّر والعصبيّة فى تلك الليلة ،



فوق الفراش الوثير ، تمدّد (أدهم صبرى) فى قميص وسروال حالكى السوّاد .

وهو يدور فى رَدْهة منزله كالليث الجريح ، ويتطلّع كل دقيقة إلى ساعته ، ثم يزفر فى قوّة ، فسألته ابنته (زينب) فى قلق :

ــ هل تظن أنه سينجح يا أبى ؟

زفر للمرّة الألف ، وقال فى توتّر :

ــ أتعشّم ذلك يابنتى .. أتعشّم ذلك .

سألته فى اهتمام :

ــ ولكن كيف سيدخل إلى حصن الثعلب ؟.. لقد أكّد الجميع أن هذا مستحيل .

هزّ (أبو عبّاد) رأسه وهو يقول :

ــ لقد وجد وسيلة رائعة يابنيّتى ، تجمع بين البساطة والعبقريّة .. إن هذا الشاب يستحق ما يقال عنه بالفعل .. إنه ذكىّ ، جرىء ، شجاع ، جسور ، مِقْدام .. إنه عشرات الأبطال فى جسد واحد .

التهبت باللهفة والفضول ، وهى تسأله :

ــ وما تلك الوسيلة يا أبى ؟

خفقت ابتسامة باهتة من التوتّر الشديد ، الذى يملأ كل خلجة من خلجات وجهه ، وهو يغمغم :

— وسيلة بسيطة ، لم تخطر ببال عباقرة الأمن في (الموساد) .. لقد ذهب إلى هناك بواسطة خفّاش طائر (*)

* * *

« خفّاش طائر ؟!!.. » ..

هتف مدير (الموساد) بتلك العبارة في خفوت ، وبلهجة تجمع بين الارتياع والذّهول ، وهو يحدّق في عيني (أدهم) ، وابتسامته الساخرة ، فقال هذا الأخير في هدوء :

— نعم أيها الوغد .. إنك لم تترك لي سوى هذا الأسلوب ، فلقد أحطت فيلّتك بكل وسائل الأمن والحراسة الممكنة ، ولكنك تجاهلت السماء ، على الرغم من وجود جبل مرتفع إلى يمين الفيلا ، وبكل بساطة ، تسلّقت أنا هذا الجبل ، من الجانب الآخر ، واستخدمت خفّاشا طائرًا ، مطليًا باللون الأسود ، وأنا أرتدي زيًا أسود اللون كما ترى ، ومع غياب القمر ، وسهولة التحكّم في الخفّاش الطائر ، وبعض الهدوء

(*) الخفّاش الطائر : نوع من الطائرات البسيطة ، بلا محرّك ، عبارة عن جناحين متصلين ، على هيئة خفّاش من القماش ، تربطهما عدة قوائم معدنية ، ويمكن لفرد واحد استخدامها في الطيران المنفرد ، شريطة أن يهبط بها من مكان مرتفع .

والصمت أمكنني الهبوط على سطح الفيلا ، حيث لم تعترضني أيّة حراسة على الإطلاق ، فهبطت لأنتظرك هنا ، وها نحن أولاء نلتقي .

انهار مدير (الموساد) تمامًا ، مع بساطة الفكرة وفاعليتها ، وهو يغمغم :

— ولكن كيف فعلت كل هذا ؟.. هل أجبرت (إيلي) على الاعتراف ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— إنني لم أحاول ، فلقد كنت واثقًا من أنه لن يعترف ، كأي ضابط مخابرات محترف .

هتف مدير (الموساد) في مرارة :

— كيف توصّلت إلى مسار الرّحلة السّرّيّ إذن ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— لقد تركت رجلكم (إيلي كوهين) يقوم برحلته وحده ، واكتفيت بمراقبته ، وأنا متنكّر في هيئة مسافر هنديّ مرّة ، وآخر فرنسيّ من (باريس) إلى (أثينا) ، وبعد أن ذهب إلى سفارتكم هناك ، وحصل على جواز سفره الديبلوماسيّ الخاصّ ، وبات من الواضح أنه في طريقه إلى هنا

مباشرة ، هاجمته في حجرته بالفندق ، ولقد أصيب بحالة مضحكة من الرُّعب والذُّهول ، حينما رآني أمامه حيًّا ، ولم يحتمل سوى لكمة واحدة ، سقط بعدها فاقد الوعي ، فقمت بعمل قناع مطابق لوجهه ، وقفّاز في لون الجلد الطبيعي ، يحمل بصماته ، ثم استعرت جواز سفره ، وجئت إلى هنا ، وتركت لك بصماته عمدًا فوق الكأس ؛ لأنني كنت أعلم أن الشكّ سيساورك بعض الوقت ، أما (إيلي) الحقيقي ، فقد تكفّلت زميلتي العزيزة (منى) بوضعه داخل صندوق ديلوماسيّ ، يحمل شعار السفارة المصرية ، حيث حملته واحدة من سيّارات السفارة بعد إقلاع الطائرة إلى هنا ، وشحنته كطرد ديلوماسيّ على أوّل طائرة ذاهبة إلى (القاهرة) ، وسيحاكم هناك بتهمتي الجاسوسية ، والاتجار في المخدّرات ، ولقد تم الإيقاع بكل أفراد الشبكة ، بعد أن أرسلت القائمة التي منحتني أنت إيّاها ، إلى (القاهرة) ، فبدءوا العمل فور تلقّيها .

انهار مدير (الموساد) على نحو يدعو إلى الرثاء ، وسالت من عينيه دموع القهر والمرارة ، على حين قالت زوجته في لهجة ضارعة .. باكية :

ـــ ماذا تنوي أن تفعل بنا يا مستر (أدهم) ؟

انعقد حاجبا (أدهم) في صرامة ، وهو يقول :

ـــ ماذا تتوقّعين أن أفعل ؟.. لقد قتل زوجك والدي ، منذ ما يزيد على العشرين عامًا .

هتف مدير (الموساد) في انهيار :

ـــ الرّحمة !!

صاح به (أدهم) في غضب :

ـــ وهل تدري أنت معنى الرّحمة ؟.. هل اختبرتها يومًا ؟

بكت زوجة مدير (الموساد) في مرارة ، وهي تهتف :

ـــ وما ذنبي أنا ؟.. إنني لم أقتل أحدًا ..

أجابها (أدهم) في حزم :

ـــ الزوجة تشارك زوجها مصيره دومًا يا سيّدتي .. معذرة .

ثم جذب إبرة مسدّسه ، وتجمّدت الدماء في عروق مدير (الموساد) وزوجته ، وهما يحدّقان في عيني (أدهم) ، اللتين أطلّ منهما شبح مخيف ..

شبح الموت ..

* * *

٨ ــ العدالة ..

لا تقتل امرأة ، أو رجلاً أعزل يا ولدى ..

لا تقتل طفلاً أو شيخًا ..

لا تقتل أبدًا ، ما دامت هناك وسائل أخرى للنجاة ..

الرُّوح هِبَة من الخالق يا بنىّ ، وليس من حق المخلوق انتزاعها ، إلّا بالحق ..

لا تفعل ذلك أبدًا ..

الجبناء فقط يفعلون ..

الحقراء فقط يقتلون الشيوخ ، والنساء ، والأطفال ، والعُزّل ..

لا تكن حقيرًا أو جبانًا يا (أدهم) ..

كُنْ دومًا مقاتلاً شجاعًا ..

فارسًا نبيلاً ..

ولا تتنازل عن تلك المبادئ ما دمت حيًّا يا ولدى ..

لا تتنازل عنها أبدًا يا (أدهم) ..

قفزت تلك الكلمات إلى رأس (أدهم) ، وانهمرت من ذاكرته كالسَّيل ، وهو يصوِّب مسدسه إلى مدير (الموساد) وزوجته ..

كانت كلمات والده ..

كلمات ردَّدها كثيرًا على مسامعه ، وهو يُعدّه للعمل فى المخابرات ..

كلمات كانت لـ (أدهم) دستورًا غير مكتوب ، لم يَحِد عنه مرَّة واحدة فى حياته ..

وخُيِّل لـ (أدهم) أن روح أبيه تعترض الطريق ، بين فُوَّهة مسدسه ، ومدير (الموساد) وزوجته ..

وفى أعماق عقله ، وبكل حَيْرة قلبه ، هتف (أدهم) دون أن يصدر عنه أدنى صوت :

ــ ولكنه قاتلك يا أبتاه .. إننى أفعل ذلك من أجلك .

خُيِّل إليه أن روح أبيه تخاطب عقله ، قائلةً :

ــ ومن قال لك إننى أرغب فى ذلك يا ولدى ؟

ــ إنها العدالة .

ــ دع العدالة لله (سبحانه وتعالى) .

ــ ولكنه أمرنا (سبحانه) بأن من قتل يُقتل .

ـــ ليس حينما يكون أعْزَل .
ـــ إنهم يشنقون القاتل ، وهو أعْزَل .
ـــ للعدالة رجالها يا ولدى ، وإلَّا انقلب العالم إلى غابة .
ـــ هذا الوغد لا يعترف إلا بشريعة الغابة .
ـــ كل إناء ينضح بما فيه يا ولدى .
ـــ أهذه هي العدالة ؟
ـــ سَلْ ضميرك يا (أدهم) ، وافعل مايمليه عليك .
لم يدرِ (أدهم) أبدًا ، ما إذا كان ذلك الحوار الصامت قد دار بينه وبين روح أبيه ، أم بين عقله وضميره ..
بين قتيل ومنتقم ، أم بين غضبة ومبادئ ..
لم يدرِ أبدًا ..
ولكنه خفض فُوَّهة مسدَّسه ..
لقد رفضت طبيعته ، في اللحظة الحاسمة ، أن يستسلم لشريعة الغابة ..
رفضت أن تنتزع آدميته ، وتُحيله إلى وحش كاسر ، يفترس امرأة وكهلًا أعْزَل ..
وبكل ماتموج به نفسه من انفعالات ، هتف (أدهم) :
ـــ أغْرُب عن وجهي أيها الحقير .. غادر الفيلَّا كلها ، فستنفجر بعد عشر دقائق فحسب .

لم يصدِّق مدير (الموساد) أذنيه ، وراح مع زوجته يحدِّقان في وجه (أدهم) في ذُهُول ، ثم تراجعا في بطء ، حتى فتحا باب الحجرة ، وهنا اندفعت الزوجة تعْدُو في رُعب ، وهي تصرخ :
ـــ الشيطان المصريّ هنا .. النجدة !! النجدة !!
وعلى الرغم من عنف المفاجأة ، انتزع رجال الحراسة العشرة ، ورجال المراقبة الخمسة ، أنفسهم من مراكزهم ، واندفع الجميع نحو مصدر الصراخ ..
وبدأت معركة (أدهم) الرهيبة ..
في قلب حصن الثعلب ..

* * *

تطلَّع (أبو عبَّاد) إلى ساعته في قلق ، ثم التفت إلى ابنته (زينب) ، قائلًا في حزم :
ـــ هل أعددت كل شيء ؟
أومأت برأسها إيجابًا ، وهي تشير إلى حقيبة صغيرة :
ـــ نعم .. كل شيء .
زفر في توتُّر ، وخفق قلبه في قلق ، قبل أن يحسم قراره ، قائلًا :

ـ هيّا إذن .. سنلتقي بـ (أدهم) حيث اتفقنا .

حملت الحقيبة، واتجهت إلى الخارج، وهي تغمغم في توتّر :

ـ هذا إذا كان على قيد الحياة .

ربّت أبوها على كتفها في حنان ، وهو يقول :

ـ فلنأمل أن يكون كذلك يا بنيّتي .

وقف يراقبها وهي تدير محرّك سيارة أنيقة ، من طراز فاخر ، وقال قبل أن تنطلق بها :

ـ حذار يا بنيّتي .. سيكون المناخ شديد التوتّر هذه الليلة .

ابتسمت (زينب) في هدوء ، وهي تقول :

ـ على بركة الله يا أبي .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة حانية قلقة ، وهو يغمغم :

ـ نعم يا بنيّتي .. على بركة الله .

* * *

ركض مدير (الموساد) عَبْر الممرّ الطويل ، الذي يضمّ حجرة نومه ، وهو يصرخ خلف زوجته :

ـ النّجدة يا رجال !! النجدة !!

وتجاهل (أدهم) صراخ الرجل تمامًا ، وهو يندفع خارج

حجرة النوم ، ويعْدو نحو الطريق الموصّل إلى سطح الفيلاّ ، حيث ترك خفّاشه الطائر ، وسمع من خلفه صوت زوجة مدير (الموساد) ، وهي تهتف بالرجال ، الذين اقتحموا الفيلاّ بمدافعهم الآليّة :

ـ سيحاول الفرار من السطح .. الحقوا به قبل أن يفعل .

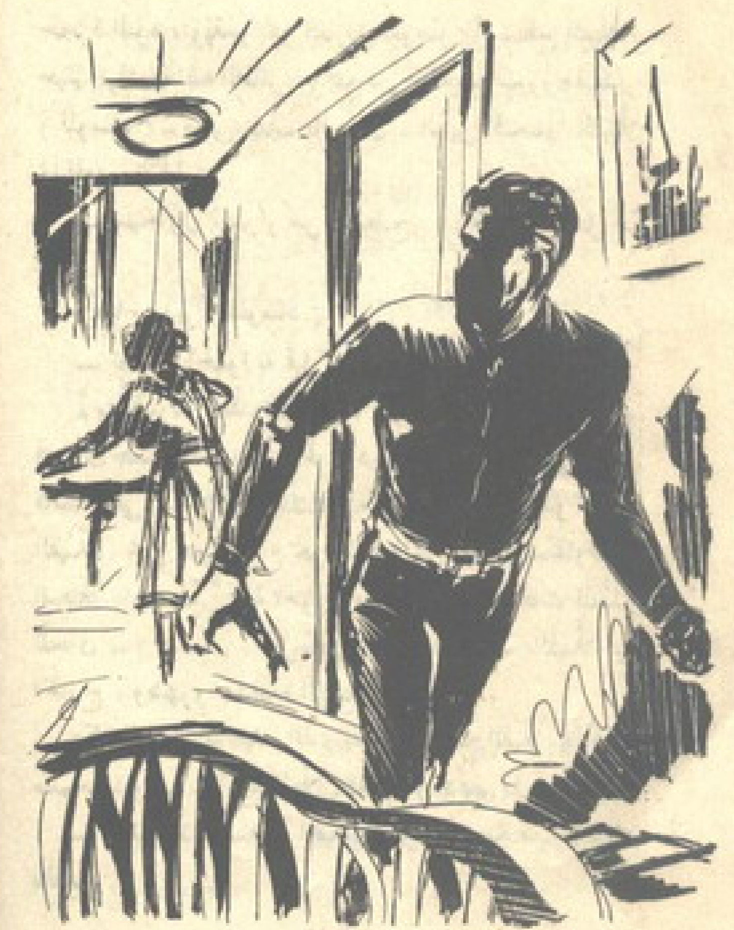
وصاح مدير (الموساد) :

ـ نعم .. الحقوا به قبل أن ......

لم يتم عبارته ، فقد تعثّر فجأة ، وهو يقفز السُّلّم هابطًا ، فتهاوى جسده ، وتدحرج فوق درجات السُّلّم ، حتى سقط فاقد الوعي أسفله ، ولم تلتفت إليه زوجته ، وهي تعْدو خارج الفيلاّ ، على حين أسرع نحوه ثلاثة من رجاله ، يحاولون إسعافه ، واندفع أربعة آخرون يصعدون في درجات السُّلّم للّحاق بـ (أدهم) ، على حين أحاط الباقون بالفيلاّ من الخارج ، وشهروا مدافعهم الرشاشة في تحفّز ..

وكان الطريق الوحيد ، الذى يقود إلى سطح الفيلاّ ، يمرّ عَبْر سُلّم مكشوف ، خارج الفيلاّ ، فغمغم (أدهم) في سخرية :

ـ يبدو أن مغادرة الجحيم أكثر صعوبة من دخوله بالفعل .



وتجاهل (أدهم) صراخ الرجل تمامًا ، وهو يندفع خارج حجرة النوم .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلقت خلفه رصاصات مدافع الرجال الأربعة ، الذين لحقوا به ، فاستدار إليهم ، وأمطرهم برصاصات مسدّسه فى مهارة ، أسقطت اثنين منهم ، قبل أن يحتمى بقائم خشبىّ ضخم ، إلى جوار الباب الصغير ، الذى يقود إلى سُلّم السطح ، وهو يردّد ساخرًا :

ــ يا لك من مغرور يا (أدهم) !.. أتقتحم حصنًا منيعًا بمسدّس واحد ، يحوى تسع رصاصات فحسب ، ودون خزانة إضافية ؟!

انهالت رصاصات الرجلين الباقيين على القائم الخشبىّ ، فقفز (أدهم) من مكانه ، وأطلق من مسدّسه رصاصتين ، أصابتا الرجلين فى إحكام ، ثم غمغم وهو يتطلّع إلى باب سُلّم السطح الصغير :

ــ بقيت لك خمس رصاصات يا (أدهم) ، وهناك ثمانية رجال ينتظرون اقترابك من ذلك الباب ، ليحيلوك إلى مصفاة برصاصاتهم .

دفع الباب بقدمه فى قوة ، فانهالت رصاصات مدافع الرجال الثمانية على الباب ، الذى تهشّم تمامًا ، وتهاوى فى دوىّ شديد ، فابتسم (أدهم) مغمغمًا :

ـــ يا إلهى !!.. لا يروق لى أبدًا أن أكون فى موضع ذلك الباب .

ثم تطلع إلى ساعته ، وغمغم مستطردًا فى توتر :

ـــ ولكن الانتظار سيجعل النهاية لا تختلف كثيرًا ، فالقنابل ، التى وضعتها فى الفيلا ، ستنسفها كلها بعد أربع دقائق فحسب .

راح عقرب الثوانى يدور فى سرعة مخيفة ، ويلتهم الوقت فى سيره بسرعة ، على حين وقفت زوجة مدير (الموساد) تتطلع إلى حيث يختبئ (أدهم) ، وهى ترتجف فى حديقة الفيلا ، وسمعت أحد الرجال الثمانية يقول فى صرامة :

ـــ لن يفلت ذلك الشيطان المصرى هذه المرة .. إنه لم يتحرك من مكانه منذ تسع دقائق كاملة ، وستصل الإمدادات فى سرعة ، وسنوقع به هذه المرة .

سألته زوجة مدير (الموساد) فى ذهول :

ـــ لماذا لا يقاوم ؟

أجابها الرجل فى ثقة :

ـــ لن يمكنه ذلك .. لقد وقع فى الفخ ، وأطبق فكيه عليه تمامًا .

وفجأة ، تصاعد صوت (أدهم) من مكمنه ، وهو يهتف :

ـــ حسنًا .. إننى أستسلم .

ابتسم الرجال الثمانية فى ارتياح ، وصاح أحدهم فى حزم :

ـــ ألق سلاحك إذن ، وغادر مكمنك رافعًا ذراعيك .

رأى الجميع مسدس (أدهم) يقفز عبر باب سُلّم السطح المحطم ، ويسقط عند أقدامهم ، فصاح قائدهم فى صرامة :

ـــ والآن تقدم .

ثم التفت إلى زوجة مدير (الموساد) ، مستطردًا فى فخر :

ـــ هل رأيت ياسيدتى ؟.. إنه لم يقاوم سوى تسع دقائق ونصف ، و .....

انتفض جسدها فجأة ، واتسعت عيناها فى ذهول وذعر ، وهى تصرخ فى ارتياع .

ـــ تسع دقائق ونصف ؟!.. يا إلهى !.. أين زوجى ؟

أجابها الرجل فى دهشة :

ـــ اطمئنى يا سيدتى .. إنه فى حجرة مكتبه .. إن الزملاء يعملون على إسعافه ، و .....

قاطعته صارخة فى ارتياع :

ـــ يا إلهى !!.. إن الفيلا ستنفجر كلها بعد نصف دقيقة فقط .

اتسعت عيون الرجال الثمانية فى ذهول ، واختلط ذهولهم بغضب وتوتر شديدين ، حينما رأوا (أدهم) يندفع فجأة عبْر باب سُلّم السطح المحطّم ، ويحطّم مصباحه الوحيد بركلة مدهشة ، ثم يصعد فى درجات السُلّم قفزًا ، نحو السطح ..

وصرخ أحد الرجال فى توتر بالغ :

ـــ أنقذوا المدير .. أطلقوا النار على ذلك الشيطان ..

واندفع رجلان نحو الفيلا ، على حين فتح الستة الآخرون نيران مدافعهم نحو (أدهم) تمامًا ..

* * *



٩ ـــ من (تل أبيب) إلى (القاهرة) ..

كانت مسألة سرعة ..

لقد لجأ (أدهم) إلى خدعة شهيرة ، فامتص توتر الرجال الثمانية ، بإعلانه استسلامه ، وبإلقاء مسدسه عند أقدامهم ، ثم باغتهم بفرار سريع ، وهو يقامر بسرعته على حياته ..

وبكل ما يملك من سرعة ، وقوة ، وإصرار ، ومراوغة ، راح (أدهم) يقفز فى درجات السُلّم الخارجىّ ، والرصاصات تلاحقه ، وترتطم بجدار الفيلا حوله وخلفه ، وهو يسابق النيران ، والزمن .. والموت ..

وبقفزة أخيرة ، اعتلى (أدهم) سطح الفيلا ، واندفع نحو خفاشه الطائر ، وتعلّق بقائمه الأفقى فى قوة ، ثم دفعه أمامه إلى نهاية السطح ، وزوجة مدير (الموساد) تصرخ فى الحديقة :

ـــ دعوه يذهب بحق الشيطان ، وأنقذوا زوجى .. أنقذوا زوجى أولًا .

ومع نهاية سطح الفيلا ، دفع (أدهم) خفاشه الطائر فى

الهواء ، وهو يتشبَّث بالقائم الأفقى فى قوّة ، وراح يحلّق مبتعدًا
عن الفيلّا ، نحو المنحدر الشديد ، على الجانب الأيسر منها ..
ومن حديقة الفيلّا ، صاح أحد الرجال ، وهو يشير إلى
(أدهم) فى عصبيّة :
ــ ها هو ذا .. لقد نجح فى الفرار .
هتف رجل آخر فى حنق ، وهو يصوّب فوّهة بندقيته ،
ذات المنظار المقرّب نحو (أدهم) :
ــ ليس بعد ..
وفى دقّة وإحكام ، وضع رأس (أدهم) عند نقطة تقاطع
الخطّين المتعامدين فى منظاره ، مستطردًا فى سَخَط :
ــ لن يفلت أبدًا .
ثم ضغط الزّناد ..

* * *

كان ذلك الرجل ، الذى يصوّب بندقيته إلى رأس
(أدهم) ، من تلك الفئة النادرة ، التى تفخر دوْمًا بأنها
لا تخطئ إصابة الهدف أبدًا ، ساكنًا كان أو متحرّكًا ..
والحق يقال ، إنه لم يخطئ إصابة هدفه أبدًا ..
فيما عدا هذه المرّة ..

ففى نفس اللحظة ، التى بدأت فيها سبّابته تضغط الزّناد ،
انفجر حصن الثعلب ..
انفجرت الفيلّا كلها بدوِىٍّ هائل ، بلغ مسامع كل كائن فى
(تل أبيب) ، والقرى المجاورة لها ..
وومضت السماء كلها بالانفجار ، وبدا للجميع خفّاش
أسود طائر ، يحلّق مبتعدًا عن الحصن ، ومخلّفًا وراءه كتلة من
اللهب والنيران ، تتوسّط حديقة واسعة ، يحيط بها سور تعلوه
الأسلاك الشائكة المكهربة ..
وانبعث من الحصن المحطّم صرخة واحدة ..
صرخة زوجة مدير (الموساد) ، وهى تهتف فى ارتياع :
ــ زوْجى .
سقطت فاقدة الوعى ..
وواصل (الخفّاش الأسود) الطائر تحليقه ، وكأنما يرفع
راية النصر ، فى سماء المعركة ..

* * *

ارتجف قلب (زينب) فى قوّة ، حينما دوّى الانفجار ،
وخيّل إليها أنها تسمع صوت نبضات قلبها القويّة ، وهى تغمغم
فى توتّر بالغ :
ــ لقد فعلها .. هل نجا يا ترى ؟..



لم تمض لحظات حتى حطَّ (الخفاش الأسود) على مقرُبة منها

لم تمض لحظات حتى حطَّ (الخفاش الأسود) على مقرُبة منها ، واندفع منه (أدهم) ، وقفز إلى المقعد المجاور لها ، وهو يقول فى هدوء :

— كيف حالك يا (زينب) ؟

تهلّلت أساريرها ، وهى تهتف فى حرارة :

— كيف حالك أنت ؟.. لقد خشيت أن .....

قاطعها فى حزم :

— هل أحضرت حقيبتى ؟

أشارت إلى المقعد الخلفى ، وهى تدير المحرّك ، قائلة :

— كل شىء على ما يرام .. هل قتلت ذلك الوغد ؟

غمغم ، وهو يلتقط الحقيبة فى اهتمام :

— لست أدرى بعد .

هتفت فى انفعال ، وهى تنطلق بالسيّارة :

— ماذا تعنى ؟.. ألم تنسف الفيلّا من أجل ذلك ؟

نمّ فى حدّة :

— ابتعدى أوّلا ، وسأجيب عن كل أسئلتك فيما بعْد .

أطلقت العنان للسيّارة ، وابتعدت بها فى سرعة ، وهى تختلس النظر إليه فى إعجاب ، ثم سألته فى همس :

— هل اعتدت أن تنتصر هكذا دائمًا ؟

أجابها فى هدوء ، وهو يرتدى حُلّة أنيقة :

ـــ إننى لم أنتصر بعد هذه المرّة .

هتفت فى دهشة :

ـــ ولكنك نسفت الحصن .

أخرج من جيبه جواز سفر دبلوماسى ، وتطلّع إلى الصورة الملصقة به ، ثم أعاده إلى جيبه ، والتقط من الحقيبة قناعًا مطاطيًا رقيقًا ، وهو يقول :

ـــ يمكنهم أن يعدمونى من أجل ذلك .

غمغمت فى حيرة وقلق ، وهى تختلس النظر إليه ، فى أثناء تثبيته القناع فوق وجهه فى إحكام :

ـــ ماذا تعنى ؟

أجابها فى هدوء :

ـــ أعنى أننى لا أستحق كلمة النصر ، إلا بعد مغادرتى موطنك ، ووصولى إلى (القاهرة) .

فتحت شفتيها لتتفوّه بسؤال ما ، إلا أنها لم تلبث أن أطبقتهما ، وهى تحدّق أمامها ، مغمغمة فى توتّر :

ـــ هناك حاجز على الطريق .. إنها نقطة تفتيش ..

استرخى فى مقعده ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ لا بأس .. توقّفى قبلها فى هدوء .

أطاعت فى قلق ، وأوقفت السيّارة على قيد متر واحد من الحاجز ، فأسرع إليها ثلاثة رجال ، يحملون المدافع الآلية ، وقال أحدهم فى خشونة :

ـــ أوراقكما .

ناولته (زينب) رخصة قيادتها ، ورخصة السيّارة ، فألقى عليهما نظرة سريعة ، والتفت إلى (أدهم) ، مغمغمًا فى خشونة :

ـــ أوراقك .

التقط (أدهم) جواز السفر من جيبه ، وناوله للجندى ، وهو يقول فى برود :

ـــ ها هى ذى .. ولكن أتمّ عملك فى سرعة ، فأنا فى طريقى إلى المطار .

لم يكد الجندى يلقى نظرة على جواز السفر ، حتى شَحُب وجهه ، وأعاده إلى (أدهم) فى سرعة ، وهو يغمغم فى ارتباك :

ـــ ها هو ذا يا سيّدى .. معذرة .

ثم أشار إلى باقى الرجال ، فأسرعوا يرفعون الحاجز ، وانطلقت (زينب) بالسيّارة ، ولم تكد تبتعد ، حتى هتفت :

ـ ماذا فعلت به ؟.. إنها أوّل مرّة أشاهد أحدهم يعتذر .

ابتسم ، وهو يقول فى هدوء :

ـ هذا طبيعىّ يا عزيزتى ، فذلك الجواز تحفة من تحف صديقى البدين (قدرى) ولقد قضى ليلة كاملة فى صنعه ، فى (أثينا) ، فبعد أن أوقعت ذلك الوغد (إيلى) ، وجدت معه جواز سفر ديبلوماسى ، يحمل تأشيرة خاصّة ، تمنع أى مخلوق من التعرُّض له ، أو تعطيله ، أيًّا كانت الأسباب ، ولقد راقت تلك التأشيرة لصديقى (قدرى) ، فقضى ليلته يزوِّر جواز سفر مماثل ، باسم آخر ، وذلك الوجه الذى أحمله الآن ، وأضاف إليه تأشيرة مزوَّرة بإتقان رائع ، لم يبلغه سواه ، واحتفظت أنا به للعودة ، إذا ما كشف هؤلاء الأوغاد شخصيتى .

هتفت (زينب) فى إعجاب :

ـ تخطيط رائع .. كم أتمنّى أن أعمل معكم يومًا ، فى المخابرات المصرية .

ابتسم ، وهو يغمغم :

ـ بل كم أتمنّى أنا أن تعمل يومًا ، فى مخابرات حُرّة ، تحمل اسم المخابرات الفلسطينية .

أجابته فى حزم :

ـ سيأتى ذلك اليوم عن قريب .

توقّفت بعد عبارتها أمام مطار (تل أبيب) ، والتفتت إلى (أدهم) ، قائلة فى سعادة :

ـ لن أنسى هذا اليوم أبدًا يا سيادة المقدّم .. لن أنسى أننى شاركت (أدهم صبرى) ، الأسطورة ، واحدة من مهماته ، داخل الأرض المحتلة .

ابتسم ، وهو يقول :

ـ أنا أيضًا لن أنساكم أبدًا يا (زينب) ، لقد شعرت وسطكم أننى فى ديارى ، ولم أشعر لحظة واحدة بالغربة ، أو بالوحدة .

غمغمت فى سعادة واعتزاز :

ـ هذا يشرّفنا ، وسيكون أسعد أيامنا أن نستقبلك ، فى المرّة القادمة ، فى (فلسطين) الحرّة .

غادر السيّارة ، ومال نحوها مبتسمًا ، وهو يقول :

ـ الوداع يا (زينب) .

قالت في حرارة :

ــ بل قل إلى اللقاء .

اتسعت ابتسامته ، وهو يغمغم :

ــ نعم ... إلى اللقاء ..

راقبته ، وهو يتجه نحو باب المطار ، وسالت من عينيها دمعة حارّة ، وهي تغمغم :

ــ إلى اللقاء يا أعظم من صادفت في حياتي كلها .. إلى اللقاء .

* * *



١٠ ـــ الختام ..

انعقد حاجبا (إيلي كوهين) في مقت وسَخَط وغضب ، حينما رأى (أدهم) أمامه ، في حجرة وكيل نيابة أمن الدولة ، في (القاهرة) ، وهتف في حنق :

ــ لا تبتسم هكذا في سخرية ، أيها الشيطان المصريّ .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

ــ صَهْ أيها الوغد .. ليس من حقّك إصدار الأوامر هنا .. إنك متهم بالجاسوسية ، والاتجار في المخدّرات .

صاح (إيلي) في غضب :

ــ لا يوجد دليل إدانة واحد ضدّي .. لن يمكنكم أن تحاكموني إلّا بتهمة انتحال شخصية رجل آخر فحسب ، هذا هو القانون .

قال وكيل نيابة أمن الدولة في هدوء :

ــ ومن قال إننا لا نملك دليلًا ضدك ؟.. إن لدينا تسجيلًا صوتيًا لك ، تعترف فيه بزعامة شبكتي المخدرات والجاسوسيّة .

اتسعت عينا (إيلى) فى ذعر ، ثم هتف فى عناد :

ـــ إنها مناورة .. ليست لديكم أية تسجيلات ضدّى .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ عجبًا !!.. لقد استمعت إلى تسجيل صوتى لك ، مع (توفيق شاهين) ، حينما أتى إلى منزلك فى السابعة صباحًا .

جحظت عينا (إيلى) فى رُعب ، وغمغم فى ارتياع :

ـــ مستحيل !!.. مستحيل أن يكون (توفيق) قد خاننى .

اتسعت ابتسامة (أدهم) الساخرة ، وهو يقول :

ـــ إنه لم يفعل بالطبع ، فلقد ألقى القبض عليه فى الليلة السابقة لزيارته لك ، بعد خروجنا من مخزنك تمامًا .

حدّق (إيلى كوهين) فى وجهه فى ذهول ، وقال :

ـــ مستحيل !.. لقد .. لقد .....

وامتلأت نظرته الذاهلة بالارتياع ، وهو يستطرد فى صوت مختنق :

ـــ يا للشيطان !!.. إذن فهو لم يكن (توفيق) .. لقد كان .....

قاطعه (أدهم) فى هدوء ساخر :

ـــ لقد كان أنا أيها الوغد .

ارتجفت شفتا (إيلى) فى ذهول ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، ثم غمغم فى انهيار :

ـــ هذا التسجيل غير قانونى إذن .

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

ـــ بل قانونىّ تمامًا أيها الوغد ، ولقد تمّ بإذن مسبق من النيابة العامة .. من سوء حظّك أن العمل بخطّة مسبّقة قد راق لى هذه المرّة ، وأن كل شىء فى قضيّتك كان قانونيًا للغاية .

انهار (إيلى كوهين) تمامًا ، وراح يردّد فى مرارة :

ـــ أنت شيطان .. شيطان حقيقى .

ابتسم (أدهم) فى هدوء ، والتفت إلى وكيل النيابة ، قائلًا :

ـــ حسنًا يا سيّدى .. إننى مستعد للإدلاء بشهادتى فى القضية .

* * *

عانق الدكتور (أحمد صبرى) شقيقه (أدهم) فى حرارة ، وربّت على كتفه فى قوّة ، هاتفًا فى سعادة :

ـــ كنت أعلم أنك ستفعلها يا (أدهم) .. كنت أعلم أنك ستخرجنى من السجن .

ابتسم (أدهم) فى سعادة وارتياح ، وهو يقول :

ـــ وعلى نحو قانونىّ يا شقيقى العزيز .

سالت دموع الفرح من عينى (منى) ، وهى تقول فى سعادة :

ـــ إن (أدهم) ينتصر دومًا يا دكتور (أحمد) ، وكم كنت أتمنّى أن أشاركه تلك العملية الرائعة ، التى بدأت ضد القانون فى (القاهرة) ، وانتهت ضد قانون (تل أبيب) .

تطلّع إليها (أدهم) فى حنان ، وهو يقول :

ـــ لقد كنت أشعر بوجودك إلى جوارى فى كل لحظة يا عزيزتى .

تضرّج وجهها بحمرة الخجل ، وهى تطرق أرضًا ، على حين هتف (قدرى) فى مرح :

ـــ وماذا عنّى أنا ؟.. إننى أنتظر تلك الوجبة الشهيّة ، التى وعدتنى بها (منى) .

ضحكت (منى) ، وهى تقول :

ـــ سنتناولها جميعًا ، فوالدتى أصرّت على دعوتكم لتناول الغداء فى منزلنا اليوم ، وهى تطهو الأطعمة الشهيّة منذ مساء أمس .

هتف (قدرى) :

ـــ يا إلهى !!.. هيّا بنا إذن .. لقد سال لعابى فى شِدّة .

ضحك (أدهم) ، وهو يقول فى مرح :

ـــ يا لوالدتك المسكينة يا عزيزتى !.. أراهنك أنها ستصاب بالرُّعب والندم ، بعد مشاهدة الكميات الهائلة ، التى سيتناولها عزيزنا (قدرى) .

مطّ (قدرى) شفتيه ، وعقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ أى رُعب ؟ وأى ندم ؟ يا (أدهم) .. أنت تعلم أن بدانتى وراثيّة ، ولا شأن لها بكميات الطعام التى أتناولها .

ضحكت (منى) ، وهى تقول :

ـــ نحن نعلم ذلك بالطبع .

ثم انحنت نحو أذنه ، مستطردة فى مَرَح :

ـــ لذا فقد أوصيت أمّى بأن تمنحك دجاجة كاملة .

هتف (قدرى) فى ارتياع :

ـــ فقط ؟!

أسرعت (منى) تقول ضاحكة :

ـــ كفاتح للشهيّة فقط بالطبع .

انفجر الجميع ضاحكين ، ثم سأل (أحمد) شقيقه (أدهم) فجأة :

ـــ ماذا فعلت بمدير (الموساد) ؟

عقد (أدهم) حاجبيه في ضيق ، وهو يقول :

ـــ لقد نجا .. نجح رجاله في إخراجه من الفيلَّا ، قبل ثوانٍ من انفجارها ، ولم يصب سوى بجروح طفيفة .

تنهَّد (أحمد) ، وهو يغمغم :

ـــ حسنًا .. لقد شاء له القدر أن يبقى .

شرد (أدهم) ببصره ، وهو يقول :

ـــ نعم يا (أحمد) ، وشاء لي الله (سبحانه وتعالى) أن أبقى على مبادئي ، وألا انحدر أبدًا إلى مستوى تلك الشريعة ، التي تسود العالم الآن .. شريعة الغابة .

* * *

[تمت بحمد الله]

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٧٢

الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعال

شريعة الغاب

- ألقى (أدهم صبري) حتفه حقاً؟.. أم بقي ليواصل قتاله ضد (إيل كوهين)؟
- كيف انتقلت المعركة من (القاهرة) إلى (تل أبيب)؟
- لمن يكون النصر هذه المرة، في تلك المعركة الشرسة، التي تحكمها (شريعة الغابة)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، لترى كيف يعمل (رجل المستحيل)....



العدد القادم : المحقق الرهيب